وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ... ./.....

رقم التسجيل ط1: 2407075108484

رقم التسجيل ط2: 2407073075824

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

شعبة: دراسات أدبية تخصص: أدب جزائري

بعنوان

الأنساق الثقافية في رواية "حينما تشتهيك الحياة" لفضيلة ملهاق

إعداد الطالبتين:

- نجوم بن مقري
- سومية بن سالم

- أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. سعاد طالب	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	رئيسا
☐د. ربيعة براخلية	☐ أستاذ محاضر ب	المدرسة العليا ☐للأساتذة بوسعادة	☐مشرفا ومقررا
أ.د عبد القادر العربي	أستاذ	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2024-2025م/1445-1446هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه

السيد(ة): ..... **الصفة: طالب**

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 201745178

الصادرة بتاريخ 2017/08/07 **عن بلدية:** ..... **ولاية** ..... المسيلة

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي..

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر، عنوانها:

الانساق الثقافية في رواية "حيث تسكن الحياة" لفضيلة ملعاق

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في : 02 جوان 2025

إمضاء المعني

02 جوان 2025

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي

وبتفويض منه العون المرئيس للإدارة

حكيمة غرايبي

أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه

السيد(ة): بن سالم سومية ..... **الصفة:** طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 101194358

الصادرة بتاريخ 2016.10.07 **عن بلدية:** برج الغدير **ولاية** برج بوعريريج

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات **قسم:** اللغة والأدب العربي..

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر، عنوانها:

الأنساق الثقافية في رواية حينما تستيقظ الحياة
لغضبة سلماني

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في : 02 جوان 2025

إمضاء المعني

أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

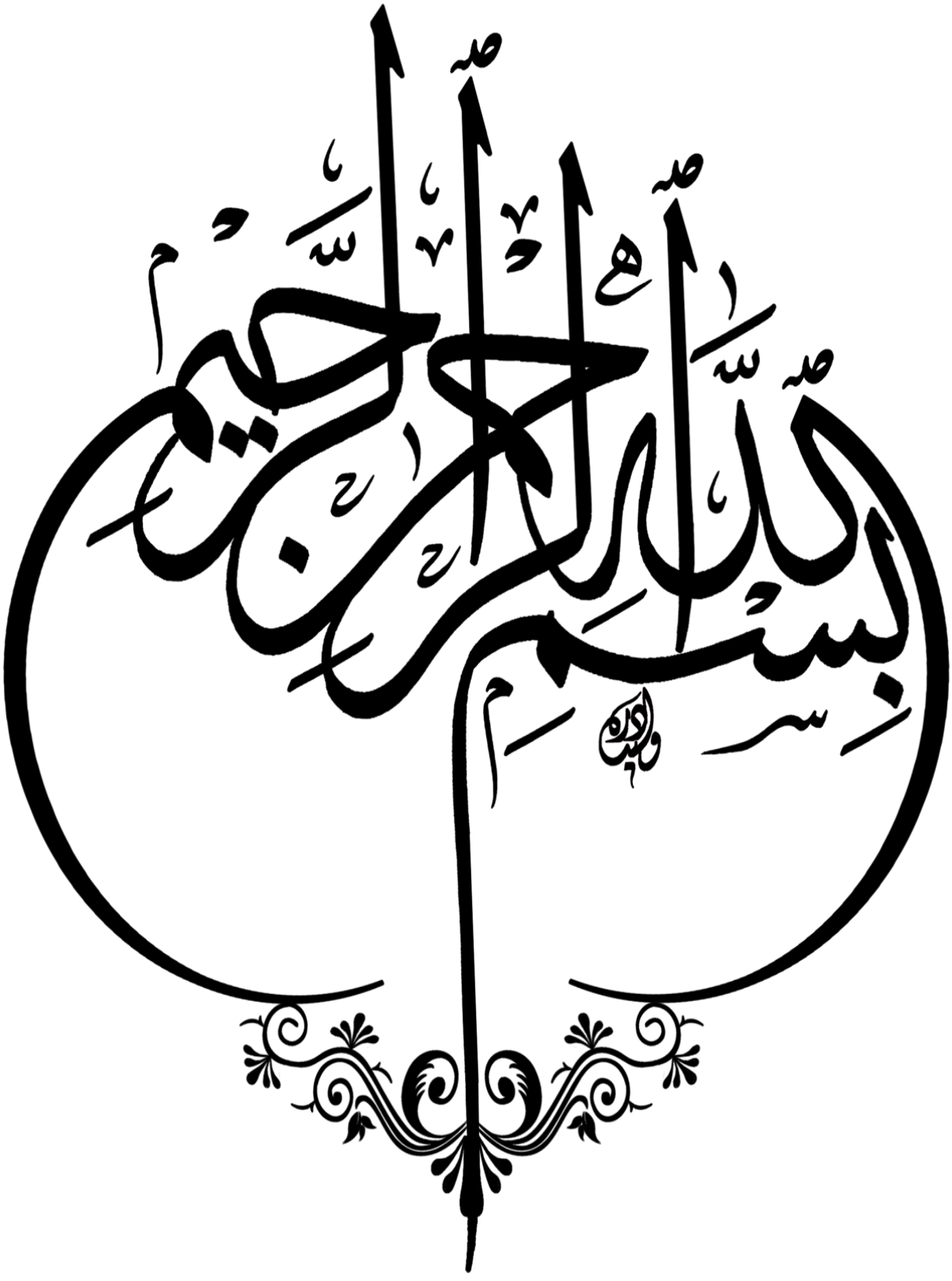
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ **[سورة النمل، الآية: 19]**

الحمد لله أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، على توفيقه لي في إنجاز هذا العمل، وما كان لي أن أبلغ هذا المبتغى لولا عونه وتيسيره.

نتقدم بجزيل الشكر، وعظيم التقدير لأستاذتنا الفاضلة الدكتورة "ربيعة براخلية"، التي كانت لنا خير معين وسند في جميع مراحل إعداد هذا البحث، فبفضل توجيهاتها السديدة، وتحفيزها المستمر، وكرمها في العطاء، وثقتها الغالية، مضينا قدمًا بكل عزم نحو النجاح. فجزاها الله عنا كل خير.

كما لا يفوتنا أن نخص بالشكر والامتنان للعائلة الكريمة، التي كانت الداعم الأول والسند الحقيقي في جميع الظروف، نسأل الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء.

والشكر موصول لكل من مدّ لنا يد العون بكلمة طيبة، أو نصيحة صادقة، أو دعاء مخلص.

وخالص الامتنان نقدمه إلى كلية اللغة والأدب، إدارةً وأساتذة، لما وفّرته من بيئة علمية محفزة وداعمة.

الإهداء

الحمد لله، بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تُدرك الغايات.

أما بعد ، فهذا العمل هو ثمرة جهدٍ وسهرٍ وأمل، أقدّمه بكل فخر وامتنان إلى من كان لهم الأثر البالغ في مسيرتي العلمية.

إلى أبي الغالي، قدوتي ومصدر عزيمتي، كل الكلمات تعجز عن وصف امتناني، ولن تفيك حقك أبدًا.

إلى أمي العزيزة، يا من كنتِ السند الثابت في كل لحظة ضعف، والدعاء الدائم في كل وقت... جزاكِ الله عني كل الخير.

إلى زوجي وسندي في الحياة

إلى ولداي "محمد جواد، محسن جاد"

إلى إخواني وأختي الأحبة: كنتم لي وطنًا وسندًا، وعونًا صادقًا، لطالما وقفتم بجانبي، مؤمنين بي، واثقين بأني سأصل إلى ما أطمح إليه... وها أنا اليوم أصل.

وإلى كل العائلة الكريمة ""

إلى صديقاتي في الدراسة جامعة محمد بوضياف وخاصة قسم اللغة والأدب العربي تخصص أدب جزائري وأخص في الذكر زميلاتي "سوميّة"

لكم جميعًا، من شاركتموني الطريق، وكنتم جزءًا من هذا الإنجاز ... أقول من القلب: شكرًا، ودمتم في القلب أثرًا لا يُمحى.

نجوم بن مقران

الإهداء

الحمد لله، بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تُدرك الغايات.

أما بعد ، فهذا العمل هو ثمرة جهدٍ وسهرٍ وأمل، أقدّمه بكل فخر وامتنان إلى من كان لهم الأثر البالغ في مسيرتي العلمية.

إلى أمي العزيزة، يا من كنتِ السند الثابت في كل لحظة ضعف، والدعاء الدائم في كل وقت... جزاكِ الله عني كل الخير.

إلى أبي الغالي، قدوتي ومصدر عزيمتي، كل الكلمات تعجز عن وصف امتناني، ولن تفيك حقك أبدًا.

إلى زوجي الذي شاركني هذا الإنجاز وكان نعم السند فجزاه الله كل خير

إلى أولادي " عائشة سجود ، قصي"

إلى إخوتي وأخواتي الأحبة: كنتم لي وطنًا وسندًا، وعونًا صادقًا، لطالما وقفتم بجانبي، مؤمنين بي، واثقين بأني سأصل إلى ما أطمح إليه... وها أنا اليوم أصل.

لكم جميعًا، من شاركتموني الطريق، وكنتم جزءًا من هذا الإنجاز ... أقول من القلب: شكرًا، ودمتم في القلب أثرًا لا يُمحى.

سومية بن سالم

مقدمة

يعد النقد الثقافي من أحدث المقاربات النقدية التي ظهرت في سياق ما بعد الحداثة، بوصفه دعوة إلى تجاوز مقولات النقد الأدبي التقليدي، خصوصا تلك التي تنحصر في البعد الجمالي والبلاغي للنصوص، من خلال مساءلة الأنساق الثقافية المضمرة فيها. فهو لا يكتفي بدراسة الأدب بوصفه شكلاً جماليا، بل يتوغّل في فحص البنى الأيديولوجية والاجتماعية والثقافية الكامنة فيه، ما يجعله مقاربة متعددة الأبعاد تسعى إلى كشف المستور وتعرية الخطابات المضمرة في النصوص الأدبية والكشف عن تمثلاتها الثقافية والرمزية.

وضمن هذا الاهتمام بالأنساق الثقافية تأتي هذه الدراسة لرصد تمظهرات هذه الأنساق، وهو الأمر الذي أحالنا إلى اختيار موضوع هذا البحث الذي عنوناه بـ: "الأنساق الثقافية في رواية "حينما تشتهيك الحياة" لفضيلة ملهاق"، وهو اختيار نابع من أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، فأما الأسباب الذاتية التي دفعتنا إلى طرق هذا الموضوع فهي رغبتنا الشخصية في الغوص في البنى العميقة لهذا النص الروائي وكشف ما يخفيه خلف واجهته الجمالية من خبايا ثقافية، إلى جانب اهتمامنا بمجال النقد الثقافي ورغبتنا في اختبار مدى قدرته على مقاربة النصوص السردية العربية المعاصرة، وأما السبب الموضوعي فهو الاهتمام المتزايد من قبل النقاد بموضوع النسق الثقافي والحضور المتميز له على الساحة الأدبية والنقدية العربية.

وقد تأسست دراستنا لهذا العمل الروائي على إشكالية كبرى مفادها: ما هي أهم الأنساق الثقافية المهيمنة في رواية حينما تشتهيك الحياة؟، لتندرج ضمنها مجموعة من التساؤلات التي نعمل على الإجابة عليها وهي:

- ما مفهوم النقد الثقافي؟
- ما النسق الثقافي؟ وما خصائصه؟
- ما طبيعة هذه الأنساق؟ وكيف تمظهرت داخل النص الروائي "حينما تشتهيك الحياة"؟

هي أسئلة وأخرى عملنا على الإجابة عليها وفقا لخطة بحثية تتوزع على فصلين بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة، حيث خصصنا **الفصل الأول** للجانب النظري من خلال التطرق إلى المفاهيم الخاصة بالنقد الثقافي والأنساق الثقافية ضمن المعاجم العربية وكذا الجانب الاصطلاحي لهما، ثم التطرق إلى خصائص النسق وحضوره في الساحة النقدية وكذا علاقته بالرواية.

أما **الفصل الثاني** فقد جاء تطبيقيا تطرقنا فيه إلى الأبعاد الثقافية للعنوان ثم الأنساق الاجتماعية والسياسية وتمظهراتهما داخل الرواية من خلال التركيز على نسق: الفحولة، الهوية، التمرد، السلطة والمعارضة وغيرها من الأنساق، ثم خلصنا في الأخير إلى خاتمة حاولنا من خلالها إجمال أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد اعتمدنا في دراستنا على أداة النسق الثقافي، التي تعد أهم آلية من آليات النقد الثقافي التحليلية؛ من خلال قراءة لا تستهدف العناصر الفنية والجمالية في النص الروائي، بل تتجاوزها للكشف عن الأنساق المتجذّرة التي تحكم النص من الداخل، ذلك أن النقد الثقافي نشاط نقدي عابر للتخصصات، يستفيد من أدوات الأنثروبولوجيا، وعلم النفس، والتاريخ، والسيميائيات. وقد كان المنهج السيميائي حاضرا خصوصا في تحليل العتبة الأولى للرواية ودلالاتها الرمزية، التي تكشف عن أنساق مضمرة توجه القراء.

ومن أجل إنجاز هذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من الدراسات السابقة نذكر منها مقال بعنوان "الأنساق الثقافية المضمرة وقضايا الهامش" لجمال مجناح، وفتيحة طويل في مقالها "النظرية الوظيفية الجديدة وتحليل البناء الاجتماعي".

إضافة إلى مجموعة من المصادر والمراجع التي تنتمي إلى الحقل الثقافي والنقدي وتمثّل مرجعيات أساسية في هذا المجال، نذكر منها: عبد الله الغذامي من خلال كتابه "النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية، " وكتاب "الثقافة والامبريالية" لادوارد سعيد، ومصادر ومراجع أخرى مختلفة تمكنّا من الاطلاع عليها والنهل منها بما يخدم موضوع دراستنا ويثريها.

ولأن أي عمل بحثي لا يخلو من صعوبات تعترض طريقه، فقد واجهتنا بعضها، منها صعوبة اختيار المقاطع السردية المناسبة للدراسة بسبب كثافة الرمزية في النص، وصعوبة تفكيك النسق المضمر الذي يتوارى خلف اللغة البسيطة أحيانا، ما استدعى قراءات متكررة ومتأنية.

وفي الأخير؛ نحمد الله أولا وأخرا ونشكره شكرا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه أن وفقنا لإنجاز هذا العمل، ثم نتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذة المشرفة الدكتورة "ربيعة براخلية" التي لم تبخل علينا بملاحظاتها وإرشاداتها وتوجيهاتها، وعلى رحابة صدرها، وما بذلته من جهد في سبيل تقويم هذا البحث، كما نخص بالشكر أعضاء لجنة المناقشة الكرام على قبولهم مناقشة هذا البحث، وعلى ما سيقدمونه من ملاحظات بناءة.

الفصل الأول

النقد الثقافي والأنساق الثقافية

مفاهيم نظرية

أولا- النقد الثقافي

1- تعريف النقد

2- تعريف الثقافة

3- النقد الثقافي

ثانيا- الأنساق الثقافية

1- تعريف النسق الثقافي

2- خصائص النسق

3- النسق من منظور الدراسات النقدية الغربية والعربية الحديثة

3-1 النسق من منظور الدراسات النقدية الغربية

3-2 النسق من منظور الدراسات النقدية العربية الحديثة

4- علاقة النسق الثقافي بالرواية

أولا- النقد الثقافي:

ضبط المصطلحات:

يتكون مصطلح النقد الثقافي من لفظتي: "نقد، ثقافي" حيث جاءت لفظة نقد منسوبة إلى الثقافة، وسنتناول مفهوم اللفظتين كل على حدا:

1- تعريف النقد:

1-1 لغة:

تعددت تعاريف لفظة النقد في المعاجم العربية، فهي بمعنى إخراج زيف الدراهم من جيدها عند ابن منظور فهو يرى أن النقد هو "نقد الدراهم، أي أخرج منها الزيف، وناقدت فلانا، إذا ناقشته بالأمر".[1]

كما يأتي النقد بمعنى كشف العيوب، فقد جاء عن أبي الدرداء قوله: "إن نقدت الناس نقدوك"[2]، في حين يذهب ابن فارس في مقاييس اللغة إلى تعريف النقد على اعتبار أنه "النون والقاف والدال أصل صحيح يدل على إبراز شيء، وبروزه ومن ذلك النقد في الحافر: تقشيره، والنقد في الضرس تكسيره، ونقد الدرهم، ذلك أن يكشف عن حاله في جودته، وغير ذلك، ودرهم نقد وازن جيد، كأنه قد كشف عن حاله فعلمه[3]".وبذلك يكون المعنى اللغوي للنقد هو الكشف، أو تمييز جيد الشيء وسيئ، والنقد في الكلام تمييز جيد الكلام من غيره، وهو أيضا بمعنى التقشير، والتكسير.

2-1 اصطلاحا:

إذا كان النقد في اللغة هو التمييز بين الجيد والسيء من الأشياء، فإنه في الأدب هو مجموع الأليات والإجراءات والقواعد التي ندرس بها نصا من النصوص الأدبية، فقد عرفه

---

[1]- ابن منظور أبو الفضل بهاء الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، مادة (نقد) ج 14، ص245.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص254

[3]- أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، دط، د ت، ج2، ص577.

أحمد أمين بأنه: "تلك القواعد التي نحكم على القطعة الأدبية أجيدة أم غير جيدة"[1]، والنقد عند إحسان عباس تعبير عن مواقف النقاد، ذلك إن: "النقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة، وإلى الشعر، خاصة يبدأ بالتذوق أي القدرة على التمييز، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقسيم خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى، وهي متدرجة على هذا النسق كي يتخذ الموقف نهجا واضحا مؤصلا على قواعد جزئية أو عامة مؤيدا بقوة الملكة بعد قوة التمييز"[2].

وبذلك يجعل إحسان عباس النقد ينطلق من ملكة الذوق غير إنه يحتاج إلى مراحل يمكن اعتبارها قواعد حتى يستقيم هذا النقد، بداية من القدرة على التمييز، ثم يأتي التفسير والتعليل والتحليل، وفي هذا المجال يتفق مع احمد أمين في جعل قواعد للنقد يقوم عليها الناقد في عمله، فالنقد يقوم على قواعد مأخوذ بعضها من الفلسفة، وبعضها من علم النفس، وبعضها من الأخلاق وعلم الجمال، ثم يخضع هذا النقد القطعة الأدبية إلى تفسير والتحليل لينتج بعد ذلك الأحكام[3].

2- تعريف الثقافة:

2-1 لغة:

فقد ورد مفهوم الثقافة في قاموس تاج العروس للزبيدي بمعنى: «ثقف، ككرم، فرح ثقفا بالفتح على غير قياس وثقفا، محركة: مصدر ثقف، بالكسر، وثقافة مصدر ثقف بالضم: صار حاذقا خفيفا فطنا فهما فهو ثقف، كحبر، وكتف، وثاقفه مثاقفة وثقافا: فثقفه، كنصره: غالبه فغلبه في الحذق. ويقال: ثقف الشيء [وهو] سرعة التعلم، يقال: ثقفت العلم والصناعة في أوحى مدة، أسرعت أخذه».[4]

---

[1]- أحمد أمين، النقد الأدبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر، د ط، 1992م، ص: 8.

[2]- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: دار الثقافة، بيروت لبنان، طه، دت، ص: 577.

[3]- ينظر، أحمد أمين، النقد الأدبي، ص9.

[4]- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الفتاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د.ط)، 1986، ج23، مادة (ث. ق. ف)، ص63.60.

كما ورد في القاموس المحيط للفيروز أبادي لفظ الثقافة في باب الفاء، فصل الثاء «ثقف، ككرم وفرح، ثقفا وثقفا وثقافة: صار حاذقا خفيفا فطنا وامرأة ثقاف، كسحاب: فطنة».[1] ومنه قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**﴾، [سورة البقرة، الآية191].

وجاءت في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب في باب الثاء أن الثقافة تعني: «ترقية العقل والأخلاق وتنمية الذوق السليم في الأدب والفنون الجميلة».[2]

من خلال جملة التعاريف اللغوية حول الثقافة في المعاجم العربية نلحظ أن جلها تصب في معنى واحد الذي هو الفطنة والذكاء والحذق وسرعة التعلم.

2-2 اصطلاحا:

لقد تعددت مفاهيم الثقافة وتنوعت حسب مختلف الباحثين وذلك كل حسب نظرته فنجدها عند محمد عبد المطلب أنها هي الإضافة البشرية للطبيعة التي تحيط بها سواء كانت إضافة خارجية في إعادة تشكيل الطبيعة أو تعديل ما فيها إلى تعديل آخر هذه الإضافات التي لا تكاد تتوقف بل تضم قائمة العادات والتقاليد والمهارات والإبداعات الداخلية بمعنى أنها تتعلق بما هو غريزي وفطري وبيولوجي في الكائن البشري".

ويقول عليها مالك بن نبي في كتابه مشكلة الثقافة على أنها: "مجموعة من الصفات والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط".

وعليه تعتبر الثقافة مفهوم واسع وشامل في حدوده ودلالاته حيث يتضمن العادات والتقاليد والمعتقدات الخاصة بمجتمع معين في الصورة والواجهة لكل عينة. وقد نجدها تختلف وتتنوع حتى داخل المجتمع الواحد.

---

[1]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، مادة (ث-ق-ف)، ص795.

[2]- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص129.

لا مشاحة من الاعتراف بأن الثقافة حظيت بمنزلة مرموقة في الآداب العالمية، نظرا لأهميتها في حياة الفرد والجماعة كونها جزءا لا يتجزأ من هذه الحياة. ويعد تحديد المفاهيم وضبطها مدخلا أساسيا لكل بحث أو دراسة علمية، إذ لا تستقيم هذه الدراسة إلا بتحديد المصطلح الأساس الذي تقوم عليه، ولفهمه لابد من الرجوع إلى أمهات المعاجم.

لقد تعددت الدوال لمدلول واحد الذي هو الثقافة بعدها الركن الأساس والمنطلق الرئيس الذي قام عليه مشروع النقد الثقافي، لما تكتنفه –الثقافة– من مكانة هامة في الساحة النقدية والأدبية على السواء، حيث نجدها «تمثل قطبا حيويا في تشكيل المرجعيات الثقافية والمعرفية والجمالية والتاريخية، فهي كما يشير غرينبلات (Grenoblatt) تجسد نظام صياغة الذات من خلال الإشارات النسقية»[1]وعليه فالثقافة حاملة لخلفيات جمالية ومعرفية وتاريخية تساعد على إعادة بناء الذات عن طريق جملة من الرموز النسقية الموجودة داخل المجتمع.

لقد عملت الدراسات الثقافية (Cultural studies) منذ بروز سماتها الأولى في بداية الستينات إلى فحص العلاقة بين الكتابة والمجتمع في بنى النص، وهو ما أسماه ريتشارد ويلسون (Richard wilson) "تنصيص التاريخ"، واهتمت هاته الدراسات في الوقت نفسه باستجواب منظومة القيم والأعراف والمرجعيات السائدة في الثقافة الغربية وتوصلت في الأخير إلى أن الثقافة ذلك الكل المعقد تتأسس في سيرورتها النسقية على قانون الجذب والإقصاء، لذا فإن عملية الفهم والإدراك لهذا القانون الضدي يستوجب تنشيطا لملكة النشاط العقلي بفعل احتواء تاريخ الثقافة أو ثقافة التاريخ من قبل المحلل الثقافي، حتى يتمكن من كشف ممارسات الأنساق الثقافية ونقدها.[2]

ومنه نخلص إلى أن الثقافة تعمل على تنشيط أو تفعيل الملكة الذهنية للمحلل الثقافي حتى يتسنى له كشف ذلك المخبوء وراء الخطاب الجمالي وغير الجمالي، ونقده نقدا ثقافيا.

---

[1]– يوسف عليمات، النسق الثقافي، (قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2009، 1ص04.

[2]– المرجع نفسه، ص16.

كما أن للثقافة قيمة بارزة في علم الاجتماع، كونها عملت على تمييز الجنس البشري عن غيره من الأجناس الأخرى، وقد حاول كثير من العلماء الاجتماعيين منذ القرن الماضي ومازالوا يحاولون الوصول إلى تعريف مضبوط للثقافة، فعلي سيد الصاوي عرف الثقافة نقلا عن إدوارد تايلور (Edward Tylor) في كتابه "الثقافة البدائية" «على أنها كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان بعده عضوا في المجتمع».[1]

فالثقافة حسب رأي تايلور تأخذ جانبا غير مادي يتمثل في المعرفة والمعتقدات والأخلاق الناتجة عن التفاعل داخل المجتمع.

وحسب رأي روبرت بيرستد (Bersted Roberte) أحد علماء الاجتماع المحدثين في أوائل الستينات بقوله: «إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نتملكه كأعضاء في مجتمع»[2] والجدير بالملاحظة هنا أن الثقافة عبارة عن شيء مركب يتمثل في الجانب الفكري والسلوكي والمادي.

إن الثقافة حسب نظريات التحليل الثقافي المعاصر يمكن دراستها كنسق من الأفعال أو الممارسات والعلاقات، والسلع والصناعات وما إليها، أو يمكن دراستها على أنها نسق من الرموز والمعاني؛ أي كنسق من العلامات بحيث تعد ثقافة شعب ما مجموعة من النصوص التي يمكن قراءتها وتفسيرها وهنا قد يكون الرجوع إلى أعمال رولان بارت (Roland Barthes) أمرا ضروريا في هذا المقام بالذات.[3]

---

[1]– مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1978، ص9 .

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– ينظر: بتيرل بيرجر، ماري روجلاس وآخرون، التحليل الثقافي، تر: فاروق أحمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2009، ص11.

فعلماء الأنثروبولوجيا يرون «أن الثقافة تشير إلى نموذج المعتقدات وقيمها، وهو ما يعكس في الحرف اليدوية والأغراض والمؤسسات، التي تمررها من جيل إلى جيل».[1]

فهم ينظرون للثقافة على أنها عنصر مكتسب، يكتسبه الأشخاص داخل المجتمع جيل عن جيل وتختلف هذه الثقافات تبعا لاختلاف المجتمعات والديانات والحضارات وهذا ما يؤكده قول كونراد فيليب كوتاك (Conradphillipkottak) «إن الثقافة تضم سلوكاً محكوما بالقواعد ومشاركا ويقوم على الرمز ويتم تعلمه وكذلك معتقدات يتم نقلها عبر الحضارات».[2]

ومنه نستنتج أن كلمة ثقافة عند علماء الأنثروبولوجيا تعني أن لكل مجتمع ثقافته الخاصة به، يكتسبها عن طريق التعلم، كما أن لكل ثقافة خصائصها التي تميزها عن غيرها من الثقافات.

أما الثقافة في الفكر العربي فتتأسس على الذات والفطرة والقيم الإيجابية واحترام خصوصية ثقافات المجتمعات الأخرى، في حين نجد الثقافة في الفكر الإسلامي تركز على العقل بالدرجة الأولى، فلو أن الخطاب العقلاني كان هو السيد في هذا المقام ما انتشرت وعمت مثل هذه السلوكات الدخيلة على التركيبة الثقافية العربية فهذا ما نلحظه في بعض التلفزيونات العربية كبرنامج ستار أكاديمي، الأمر الذي أصبح يهدد ثقافة الأمة ووجودها.[3]

وعليه، فالثقافة في الفكر العربي تقوم على مبدأ احترام ثقافات الأمم الأخرى، بينما تهتم الثقافة في الفكر الإسلامي بالخطاب العقلاني من أجل النهوض بالثقافة العربية حتى لا تقع تحت تأثير الثقافات الأخرى.

---

[1]– أرثرأيزابرجر، النقد الثقافي (تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية)، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بسطويس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص191.

[2]– المرجع نفسه، ص192.

[3]– ينظر: محمد بن لافي اللويش، جدل الجمالي والفكري (قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغذامي)، النادي الأدبي بحائل، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص124.

3- النقد الثقافي:

يتعلق النقد الثقافي ويتداخل بالعديد من المناهج والاتجاهات التي تشترك معه في الرؤيا والممارسة، وبهذا فان مفهوم النقد الثقافي يختلف من مفكر وناقد لآخر حيث يرى الناقد السعودي عبد الله الغذامي باعتباره رائد النقد الثقافي في الثقافة العربية وأول من تلقاه في الخطاب النقدي العربي أن النقد الثقافي هو فرع من فروع النقد النصوصي العام من ثم فهو احد علوم اللغة وحقول الألسنية معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه ما هو غير رسمي ومؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء وهو لذلك معني بكشف لا الجمالي كما هو شان النقد الأدبي وإنما هو كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجمالي.[1]

من خلال هذا المفهوم الذي يقدمه الغذامي للنقد الثقافي نجد انه يعتبره فرع من فروع النقد النصوصي العام أي أن النقد الثقافي حاله كحال المناهج النصية أو النصائية كما يسميها البعض. الآخر (البنيوية- السيميائية- الأسلوبية...الخ) غير أن النقد الثقافي يعنى بالأنساق المضمرة المتسربة إلى كافة الخطابات رسمي غير رسمي) (مؤسساتي غير مؤسساتي) كما نلمس من مفهومه للنقد الثقافي انه يختلف عن النقد الأدبي في انه ينقل مجال اشتغاله بالبحث عن جمالية النص إلى البحث في قبحياته.

ويقول عنه حفناوي بعلي أنه: "نشاط وليس مجالا معرفيا قائما في ذاته، وهو لا يدور حول الفن والأدب فحسب وإنما حول دور الثقافة في نظام الأشياء بين الجوانب الجمالية والانثروبولوجية".[2]

من خلال هذا المفهوم الذي يقدمه حفناوي يعني للنقد الثقافي نجد أن النقد الثقافي لا يرتكز على الأدب أو الفن فقط بل يتعداهما إلى كل ما هو مضمر.

---

[1]- محمد عبد الله الغذامي، النقد الثقافي في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 2005، ص20.

[2]- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن المنطلقات المرجعيات المنهجيات، دار العربية للعلوم/ ناشرون، ط1، بيروت، 2007،

ثانيا- الأنساق الثقافية:

1- تعريف النسق:

1-1 لغة:

النسق في اللسان العربي جمع لملمة أنساق والتي تدل على التابع والتسلسل والتنظيم وقد ورد تعريف لفظة نسق في المعاجم اللغوية العربية، فمن التعريفات نجد ما ورد في معجم "لسان العرب لابن منظور" بقوله «النسق من كل شيء، ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء وقد نسقه تنسيقا» بمعنى التنظيم[1]، وقد جاء بالمعنى نفسه في قاموس "المحيط: « نسق الكلام عطف بعضه على بعض، والنسق محركة: ما جاء من الكلام على نظام واحد وأنسق تكلم سجعا، والتنسيق: التنظيم، وناسق بينهما: تابع، وتناسقت الأشياء وانتسقت بعضها إلى بعض بمعني»[2]، فالتنسيق من خلال ما ورد في هذا المفهوم هو عطف الكلام بعضه على بعض، ولذلك تسمى حروف العطف بحروف النسق لأنها تجمع بين الكلمات وفق طريقة منظمة ومتسلسلة.

كما جاء في معجم مقاييس اللغة": «نسق النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع الشيء وكلام نسق: جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض...».[3]

«ونسق الشيء نظمه، ناسق بينهما تابع، وتناسق وانتسق الأشياء: انتظم بعضها إلى بعض، يقال: تناسق كلامه أي جاء على نسق ونظام فهو متناسق والتنسيق ماكانمنسوقا ومنظما»[4].

1- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ص352، (فصل النون).

2- مجد الدين الفيروز أبادي، قاموس المحيط، تح: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-ل بنان ط3، 1430هـ-2009م، ص938.

3- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ج5، د.ط، 1399هـ-1979م،، ص420.

4- إبراهيم مصطفى حامد عبد القادر وأخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول-تركيا، مجمع اللغة العربية، ج 1، د.ط، د.س، ص918-919.

ومن خلال التعريفات اللغوية للفظة نسق نجد بأنها تنطوي تحت معاني التتابع والتنظيم، وعطف الأشياء بعضها على بعض وتسلسلها وتتابعها في نظام واحد.

1-2 اصطلاحا:

تعني كلمة النسق "Systeme" في اليونانية القديمة (sustema) التنظيم والتركيب والمجموع، وبهذا فكلمة نسق تدل على النظام والتسلسل والتتابع والكلية والربط بين الأجزاء بشكل منظم، ومن ثم فالنسق عبارة عن نظام بنيوي عضوي كلي جامع بحيث يكون هناك انسجام وتتابع وتسلسل للأجزاء المكونة للكل في شكل منظم، ولقد تعددت واختلفت المفاهيم التي عالجت مفهوم النسق، وتدل كلمة نسق (sustéma) في المعاجم الأجنبية الحديثة والمعاصرة على مجموعة من البنيات والعناصر التي تتفاعل فيما بينها والإشارات تحكمها وفق مجموعة من المبادئ والقواعد والمعايير القوانين[1]

«ويعد "كلود ليفي شتراوس" من أوائل الذين نقلو مصطلح "النسق" إلى الحقل الثقافي في دراسته (الأنثروبولوجيا البنيوية 1957) بينما اقترح "أيكو" مصطلح "الوحدة الثقافية" وهي أي شيء يمكن أن يعرف ثقافيا ويميز بوصفه وحدة مستقلة ونظر إلى الوحدة الثقافية على أنها وحدة دلالية سيميائية مدمجة في نظام وقد تجاوز هذا النظام إلى التفاعل بين الثقافتين»[2].

فالنسق الثقافي هنا هو عبارة عن وحدة ثقافية دالة داخل حقل من الوحدات يتطابق مع التي تحيل لها العلامات فالثقافة في كليتها ينظر لها باعتبارها نسق من أنساق العلامات يكون داخلها مدلول دالا لمدلول جديد وذلك حسب النسق (أحاسيس-قيم-سلوكات...)؛ فالثقافة هي الطريقة التي يتم بها تفكيك النسق داخل ظروف تاريخية وأنثروبولوجية.

---

[1]- ينظر: جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، مكتبة المثقف، ط 1، 2006م، ص7-8.

[2]- جمال مجناح، الأنساق الثقافية المضمرة وقضايا الهامش، بحث منشور، كتب دروس، (دروس3)، كلية الآداب جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ص2.

كلمة النسق الثقافي تستخدم في الكثير من الخطابات العام والخاص بحيث تشيع في الكتابات إلى درجة قد تؤدي إلى تشوه دلالتها وتبدو بسيطة كأن تعني ما كان على نظام واحد مثل مفاهيمها في بعض المعاجم اللغوية أو أن تأتي مرادفه لمعنى البنية "structur" أو معنى النظام "system".

إذ يعرف "تالكوتبارسونز" النسق بأنه نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تتحدد علاقتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تنبع من الركوز المشتركة والمقررة ثقافيا فالنسق في هذا المفهوم أوسع من البناء الاجتماعي، فالنسق نظام بنيوي منتظم ومنسجم يضم أفكار وعادات ومعتقدات الأفراد وعواطفهم الذين تجمع بينهم بيئة مشتركة والتي تكون مستمدة من الثقافة فالنسق الثقافي مجموعة من الآليات المعرفية والفكرية لفئة اجتماعية ما أو الإيديولوجيا مترابطة ومتفاعلة ومتمايزة، تخص الفنون والمعتقدات والأخلاق واللغة وغيرها من الأنساق المختلفة للمجتمع حيث يتميز النسق بسرعة التأثير في الخطابات الاجتماعية والمرونة في الانتقال بين الأفراد والجماعات والأجيال[1].

ويشترط في النسق حسب عبد الله الغذامي وذلك عند سؤاله عن ماهية النسق الثقافي ذهب إلى تحليل عناصره ومكوناته ورأى أنه يجب توفر عدة شروط جمالية ومعرفية، لكي يكسب النسق قيما دلالية وسمات اصطلاحية، وقد حدد هذه الشروط فيما يلي:

1- «يتحدد النسق عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر، ويكون ذلك في نص واحد».[2]

فالنسق هنا يتحدد من خلال وظيفته داخل النص والوظيفة النسقية تتحدد عن طريق التعارض بين نسقين مختلفين في خطاب واحد نسق ظاهر وآخر مضمر.

---

[1]- جمال مجناح، الأنساق الثقافية المضمرة وقضايا الهامش، ص1.

[2]- محمد عبد الله الغذامي، النقد الثقافي في الأنساق الثقافية العربية، ص77.

كما « يشترط في النص أن يكون جماليا وأن يكون جماهيريا ولسنا نقصد الجمالي حسب الشرط النقدي المؤسساتي، وإنما الجمالي ما اعتبرته الرعية القافية جميلا...»[1]

"فعبد الله الغذامي" يشترط توفر الجمالية في النصوص الأدية فهو يستبعد الرديء والنخبوي عبر شرطي الجماهيري والجمالي، إذ يجب على النص أن يحتوي على الجمالية لأنها أخطر حيل الثقافة لتمرير أنساقها لنيل الديمومة والاستمرارية. كما يجب أن يكون النص جماهيريا ليحضى بمقروئية واسعة تكون لها تأثير على الذهن الاجتماعي والثقافي.

2- يجب أن تقرأ النصوص قراءة من وجهة النقد الثقافي أي على أنها حالة ثقافية فالنص ليس نصا أدبيا جماليا فقط وإنما أيضا حادثة ثقافية.

3- النسق من حيث هو دلالة مضمرة، فالدالة ليست مصنوعة من مؤلف واحد فقط، فهي تتشكل أيضا من الخطاب وتتولد منه تؤلفها الثقافة ويستهلكها جماهير اللغة من قراء وكتاب.

4- النسق ذو طبيعة سردية، يتحرك وفق حبكة متقنة «فهو خفي ومضمر قادر على الاختفاء دائما ويستخدم أقنعة كثيرة وأهمها... قناع الجمالية... وذلك من خلال البلاغة وجمالياتها، وهذا ما يسمح للأنساق بالمرور إلى العقول والأزمنة»[2].

5- الأنساق الثقافية هي أنساق تاريخية أزلية راسخة لها الغلبة دائما وذلك لاندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق ونجد ذلك مثلا في الإشهارات.

« فكلما رأينا ثقافيا أو نصا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر»[3]؛ لأن الاستجابة الواسعة والسريعة تشير إلى وجود نسق مضمر الذي لابد للكشف عنه وقد يكون ذلك في إشهارات الأزياء والنكت والحكايات والأمثال وغيرها، كل هذه وسائل بلاغية وحيل «ينطوي تحتها نسق ثقافي تاو في المضمر

---

[1]- محمد عبد الله الغذامي، النقد الثقافي في الأنساق الثقافية العربية، ص78.

[2]- المرجع نفسه، ص79.

[3]- المرجع نفسه، ص80.

ونحن نستقبله لتوافقه السري وتواطئه مع نسق قديم منغرس فينا...»[1]، فكل خطاب يحمل نسقين أحدهما ظاهر واع والآخر مضمر، وهذا يشمل كل أنواع الخطابات الأدبي منها وغير الأدبي، إلا أنه في الخطاب الأدبي يشترط وجود الجمالية والبلاغية لتمرير نسقه، وعليه فإن مهمة القارئ الثقافي أو الناقد الثقافي، دون إغفال سياقها النصي أو الظروف التي أنتج فيها الخطاب سواء التاريخية أو الاجتماعية أو غيرها، فهي التي تكشف لنا نوايا النسق وغاياته وأهدافه فهو يتحدد عن طريقها، فالقراءة الواعية تمكن الناقد الثقافي من الوقوف على مضمر النصوص. فالشرط السابق يقتضي إجرائيا عند الغذامي أن تقرأ النصوص قراءة خاصة واعية باعتبارها حالة ثقافية فالنص إلا جانب كونه جماليا فهو أيضا حالة ثقافية.

1-3 تعريف النسق الثقافي:

إختلفت المفاهيم التي عالجت مفهوم النسق الثقافي، وهذا راجع لتعدد الدراسات النقدية التي عالجت مفهوم النسق، إذ يعتبر مفهوم النسق الثقافي مفهوما مركزيا في مجال الدراسات اللغوية والنقدية، ويعود تشكله إلى حقلين معرفيين هما النقد الحديث والأنثربولوجيافي الأنساق الثقافية بمثابة تشريعات وقوانين أرضية من صنع الإنسان لضبط وتصريف أموره في الحياة فهي قابلة للتطور وفي ضوء هذا المفهوم ؛«فالنسق الثقافي هو مجموعة من الآليات المعرفية والفكرية لفئة اجتماعية ما أو لإيديولوجيا مترابطة ومتفاعلة ومتميزة تخص الفنون والمعتقدات والأخلاق واللغة وغيرها من أنساق المجتمع تتصف بالمرونة في الانتقال بين الأفراد والجماعات، كما أنه سريع التأثير في الخطابات الاجتماعية»[2].

فالنسق الثقافي منظومة فكرية واجتماعية وثقافية تشمل مختلف مجالات الحياة إذ يعتبر مفهوم "النسق الثقافي" (cultural system) بأنه «التوجه المعياري للفعل يعمل من

---

[1]- محمد عبد الله الغذامي، النقد الثقافي في الأنساق الثقافية العربية، ص80.

[2]- جمال مجناح، الأنساق الثقافية المضمرة وقضايا الهامش، ص12.

خلال رموز إدراكية وتغييرية وتقويمه»[1] فالنسق الثقافي مجموعة من القيم والمعايير، وتعد كلود ليفي شتراوس" من أهم النقاد «الذين نقلوا مصطلح النسق إلى الحقل الثقافي في دراسته الأنثروبولوجيا البنيوية عام 1957م بينما اقترح "ايكو مصطلح الوحدة الثقافية وهي أي شيء يمكن أن يعرف ثقافيا ويميز بوصفه وحدة مستقلة، وقد يكون شخصا، مكانا، شعور، توجس، خيال، هلوسة».[2]

فالنسق الثقافي في هذه الحالة هو وحدة ثقافية دالة داخل حقل من الوحدات، إذ يتطابق مع تلك التي تحيل إليها العلامات، فالثقافة في كليتيها ينظر باعتبارها نسقا من أنساق العلامات حيث يصبح داخلها مدلول دال على مدلول جديد، وذلك كيفما اختلفت طبيعة النسق سواءكان: سلوك أو سلعة، أفكار، قيم وغيرها.

ويذهب "تالكوتبارسونز" في تعريفه للنسق بأنه «نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تتحدد علاقتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تنبع من الركوز المشتركة والمقررة ثقافيا في إطار هذا النسق وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي»[3]، فقد ربط بارسونز بين النسق والسياق الاجتماعي الذي ينشأ فيه، «والنسق الثقافي عند بارسونز يتألف من ثلاثة أبعاد، وهي:

1- أنساق الأفكار والمعتقدات (systems of ideas and belifs)

2- أنساق الرموز التعبيرية (systems of expressive symbols)

3- أنساق التوجه التقييمي (systems of value-orientations).[4]

---

[1]- فتيحة طويل، النظرية الوظيفية الجديدة وتحليل البناء الاجتماعي، مجلة التغير الاجتماعي، ع1، جامعة بسكرة- الجزائر، ص224.

[2]- جمال مجناح، الأنساق الثقافية المضمرة وقضايا الهامش، ص2.

[3]- المرجع نفسه، ص1.

[4]- محمود عبد المعبود مرسى، علم الاجتماع عند تالكوتبارسونز، بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، (دراسة تحليلية نقدية)، دار النشر القصيم، السعودية، ط1، 2001م، ص90.

ويعتبر "عبد الله الغذامي" أن كلمة النسق الثقافي توجد في الخطاب العام والخاص بحيث تشيع في الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالتها وتبدو بسيطة كأن تعني ما كان على نظام واحد مثل مفاهيمها في بعض المعاجم اللغوية أو تأتي مرادفه لمعنى البنية "structure" أو معنى النظام system مصطلح "دوسوسير"، فمفهوم النسق عند "الغذامي" لهحظور مركزي في مشروعه النقدي فهو يكتسب عنده قيما دلالية وسمات اصطلاحية خاصة، وقد حددها فيما يلي: «يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقصا وناسخا للظاهر»[1]، كما يشترط أن يكون النسق جماليا وجماهريا، وهو يقصد بالجمالي ما اعتبرته الرعية جماليا، كما يستبعد النخبوي والرديء عبر شرطي الجمالي والجماهيري، كما استبعد التناقضات التي تكون في مواقع مختلفة في نصوص متباينة، فتحديده لهذه الشروط راجع إلى «أن مشروع هذا النقد يتجه إلى كشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خافية وأهم هذه الحيل هي الحيلة الـجمالية التي من تحتها يجري تمرير أخطر الأنساق وأشدها تحكما فينا...»[2]، ومن أهم مواصفات الوظيفة النسقية هي:

أ- نسقان يحدثان في آن واحد وفي نص واحد أو فيما هو يحكم النص الواحد، ويكون المضمر منها نقيضا ومضادا للعلني أو الظاهر، فإن لم يكن هناك نسق مضمر من تحت العلني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي «فالنسق من حيث هو دلالة مضمرة فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف، ولكنها مكتسبة ومنغرسة في الخطاب، مؤلفاتها الثقافية، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء»[3].

---

[1]- محمد عبد الله الغذامي، النقد الثقافي في الأنساق الثقافية العربية، ص77.

[2]- المرجع نفسه، ص71.

[3]- المرجع نفسه، 77-78.

إن أي نص يحمل نسقين متعارضين أحدهما مضمر والآخر ظاهر، فمن حيث أنه دلالة فهذه الدلالة تكون من صنع المؤلف، بل إنها موجودة في النص ذاته أو مضمرة داخله فهي من صنع الثقافة، فالنسق يستخدم أقنعة يختفي خلفها من أهمها الجمالية اللغوية، ولذا فالخطاب الذي يحمل صفات الجماهيرية والجمالية هو ما يسميه الغذامي بالخطاب النسقي.

ومن خلال الإشارات السابقة للنسق الثقافي فإن قراءة الأنساق تتجه إلى تحليل ودراسة العلاقة بين النص (أي نوع من أنواع النصوص) والمجتمع الذي ينتمي إليه وتتبع المضمرات الثقافات وحفرياتها التي أشار إليها "غريبلانت" فهو يرى أن التحليل الثقافي يفهم في ضوء علاقاته بالسياقات الاجتماعية، وبهذا أصبح النسقالثقافي متضمنا لأبعاد النص كافة ومكونا لأسس تلقيه وتأويله والتفاعل معه[1]، «فالنسق الثقافي من الركائز التي تميز مشروع النقد الثقافي عند ليتش، إذ يشتغل النقد على أنظمة الخطاب الظاهرة والمضمرة للكشف على الأنساق الثقافية، لأن بنيات النص الثقافية والاجتماعية ترتبط بسياقاته التي تكتب فيها لتستمر في أزمنة أخرى، فتنتج أبعادها من داخل الأنساق الخفية والمحملة في ذلك النص»[2]، ولعل هذا ما ذهب إليه "سعيد يقطين" أيضا حيث يرى أن النص يكتب في زمن تاريخي معين وهذا الزمن يكون محددا بسياق اجتماعي أو ثقافي معين ولا يمكن أن يكون إنتاج الكاتب النصي خارجا عن السياق، فاعتبار الأنساق الثقافية بنى مضمرة في الخطابات المختلفة فهي تكمن خلف النص الجمالي أو الجماهيري، فتكشف عن ترسبات مضمرة تكدست من تاريخ ولغة مجتمع ما تكون حاملة للأفكار والتصورات، تكون لها صفة السيطرة والهيمنة[3].

فالنقد الثقافي يقوم على دراسة الأدب الفني والجمالي، باعتبار أن الظاهرة الأدبية هي ظاهرة ثقافية بالدرجة الأولى، فالنقد الثقافي لا يتعامل مع النصوص الأدبية على أنها رموز

---

[1]– جمال مجناح، الأنساق الثقافية المضمرة وقضايا الهامش، ص04.

[2]– المرجع نفسه، ص5.

[3]– المرجع نفسه، ص5–6.

جمالية، بل على أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية والاقتصادية ومن هنا فالنقد الثقافي يتعامل مع الأدب الجمالي ليس باعتباره نصا جماليا فقط بل باعتباره نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضمر أكثر مما تعلن، وعليه فالنقد الثقافي عبارة عن مقاربة متعددة الاختصاصات تبنى على التاريخ وتستكشف الأنساق الثقافية، فتجعل من النص وسيلة لفهم المكونات الثقافية المضمرة في اللاوعي اللغوي والأدبي والجمالي.

فالنقد الثقافي يعتمد على مصطلح (النسق المضمر) فهو نسق مركزي في إطار المقاربة الثقافية، فكل ثقافة تحمل في طياتها أنساق مهيمنة، فنسق الثقافة يتكون من العلاقات المتداخلة للقيم والمعتقدات المشتركة التي توجد في أي مجتمع[1].

وفي الأخير فإن المقاربة الثقافية لا يهمها في النص الأبنية الجمالية أو المضامين المباشرة بل ما يهمها هو اكتشاف الأنساق المضمرة، أي أن ما يهم النقد الثقافي هو طرح أسئلة ثقافية جديدة، كسؤال النسق بدل سؤال النص وسؤال المضمر بدل الدال وبتعبير آخر، طرح أسئلة ثقافية دقيقة لأن النص الأدبي حامل لأنساق ثقافية مضمرة وغير واعية، ومن هنا فإنه يجب الوقوف على الأنساق الثقافية وليس على النص الأدبي والجمالي.

2- خصائص النسق:

يتصف النسق -ولا نقصد النسق الثقافي- بل نقصد النسق في عموميته بجملة من الخصائص والمواصفات أهمها:

"- البناء: أي إن عناصر المجموعة ليست متفرقة يقع النظر في خصائصها واحدا واحدا، ولا متكدسة، تؤخذ أخذ الكل الذي لا يتجزأ، ولا يتفرع.

- العلاقات: وهي كل الارتباطات التي تجمع بين الأفراد.

---

[1]- جميل حمداوي، نحو نظرية أدية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، مكتبة المثقف، دب، ط1، 2006م، ص13-15.

– العمليات: وهي الارتباطات التي تجعل الأفراد يتولد بعضها من بعض."[1]

ترتبط هذه الخصائص بمفهوم النسق العام، أي النسق سواء كان ذا طابع لساني أو اجتماعي أو معرفي أو ثقافي..

وتتصف الأنساق العامة من الناحية الاجتماعية بصفة "النسق الفوقي (super system)؛ أي النسق الاجتماعي الكلي للسكان والذي يتصف بالتكامل إلى حد ما، ويتكون من اللغة والدين والفنون والأخلاق".[2]

يتقاطع عند الكثير من الدراسيين مفهوم النسق الاجتماعي مع مفهوم النسق الثقافي، خاصة إذا تضمن الأول مكونات اللغة والدين والفن والأخلاق...

3– النسق من منظور الدراسات النقدية الغربية والعربية الحديثة:

لقد شغلت قضية النسق حيزا كبيرا من اهتمام وتفكير الدارسين والمفكرين، ولاسيما اللغويين منهم سواء من حيث التنظير له وصناعته أو الاشتغال عليه، ذلك أن النسق يقوم بدور كبير في ترابط الأفكار المعرفية مع بعضها البعض، كما يساهم في توحيد بنية الخطاب، والحاجة إلى دراسة النسق ضرورة أدركها النقاد والدارسين منذ القديم وزادت عنايتهم به في العصر الحديث، ذلك أن النسق يدخل ضمن دائرة المفاهيم التي أبرزت وعيا كبيرا بضرورة تلاؤم الخطاب وعدم انقطاع معانيه وبناء بعضه على بعض ويتقاطع مفهوم النسق مع مفهوم البنية، فقبل الحديث عن مصطلح النسق وجب التذكير أن الدراسات البنيوية استعملت في النسق مرادف للبنية، دوسوسير أب البنيوية «لم يصطنع في محاضراته مصطلح البنية، واكتفى باستعمال مصطلح النسق»[(3)]، دوسوسير من أكثر اللسانيين شغفا بالنسق، فقد كان ينظر للغة على أنها نسق مركب من أدوات التعبير والإشارات، فمن

---

[1]– هيثم عزام: النقد الثقافي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط2014، ص43

[2]– أحمد يوسف عبد الفتاح: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، بيروت، الجزائر، ط1، 2010، ص76.

[3]– أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص4 11.

المستحيل تصور نسق لساني خارج الكلية والانسجام والانتظام، وقد شكلت قضية النسق كمصطلح جزءا مهم من أعمال فرديناند دوسوسير حيث تردد مصطلح النسق مرارا في محاضرات دوسوسير، بل وكاد أن يكون محورا جوهريا في نظريته «فاللغة في تصوره نسق لا يعرف إلا طبيعة نظامه الخاص، وهو نسق سيميائي يقوم على اعتباطية العلامات، ولا قيمة للأجزاء إلا ضمن الكل»[1]؛ فاللغة مجموعة من الرموز والإشارات لها نظامها الخاص وقواعدها، فهي تحمل في طياتها دلالات معينة، فالنسق يقوم على الانتظام والتتابع بين الأجزاء لتشكيل النسق الكلي للنص. فلا قيمة للجزء إلا داخل الكل فالنص الأدبي بوصفه نسقا لا ينفصل عن نسقه العام الكلي، فلعل أوضح مثال عن ذلك يمكن تقديمه في هذا السياق هو عمل "فلادمير بروب" في دراسته "ل مورفولوجيا الحكاية الشعبية العجيبة" الذي حدد فيها وظائف النص الحكائي فنسق الحكاية مرتبط بالنسق السردي العام وهذا ما حاولت النظرية السردية تطويره، ليغدو تخصصا قائما بذاته ضمن نظرية الأدب، ومن بعد "بروب" نجد "كلود بريمون"، "غريماس"، "جيرار جنيت"، "تودوروف" الذين طوروا في الدراسة النسقية داخل العمل الأدبي[2].

إذن « فالنسق مكون من مجموعة من العناصر أو الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميز أو مميزات بين كل عنصر وآخر، بمعنى أن النسق عبارة عن عناصر مترابطة متفاعلة متمايزة».[3]

---

[1]– أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص117.

[2]– ينظر: أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص120–121.

[3]– جمال بن دحمان، الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري، الرؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص210.

3-1 النسق من منظور الدراسات النقدية الغربية

أ- دور الشكلانيون الروس في تأسيس مفهوم المصطلح:

لقد أخذ الشكلان يون الروس على عاتقهم مهمة وصف النسق وتحليل عناصره البنيوية واستنباط القوانين التي تتشكل نسقه من خلال الوقوف على العناصر القائمة بين عناصره، من خلال دراسات نصية عديدة عبر تاريخ الأدب، والتي جعلتهم يقفون على مجموعة من العناصر تتكرر في العديد من الأعمال الأدبية مما دفعهم للقول بنسقية الأدب، «ومن أهم أعمال الشكلان بين الروس التي اهتمت بدراسة النسق الأدبي نجد أعمال "يوريتينيايوف" (1943) و"بوريس ايخنباوم" (1886)[1]، إذ يعدان هذان الناقدان من أبرز الشكلان بين الروس الذين أوقفوا جهودهما على إقامة طرح للنسق في الدراسات النقدية ؛فالنسق في تصورهما أولوية من أولويات النظرية الأدية فتنيانوف كان يميز بين النسق من جهة وبين مبدأ البناء والإجراء (Procédé)، وهو ما أضفى على مقاربته البعد النسقي، لأنه كان يعتقد بأن النسق كفيل بتطبيقه على العديد من أنظمة الوقائع، ومن ضمنها الوقائع الأدبية.

قدم تينيانوف تصورا جديدا للتطور الأدبي «فتاريخ الأدب حسب تصورهما ما هو إلا حملة من الاستدلالات النسقية (substitution des systèmes) وعليه فالأثر الأدبي وحده الذي يشكل النسق أما الأدب فلا يمكن أني يشكل أي نسق»[2]، فهو يستبعد المؤثرات والتقاليد التي ظلت لصيقة بتاريخ الأدب، فكل نسق أدبي يطمح لأن يكون امتدادا للأنساق التي سبقته، كما يطرح تينيانوف مسألة ذات أهمية منهجية فهذا سلمنا تسليما كليا بنسقية الأثر الأدبي فأنى للقراءة النسقية التي اختارت الداخل على الخارج أن توفق بين مقاربتها المحايثة ونسقية الأثر الأدبي بمعزل عن النسق العام سواء كان ثقافيا أم أدبيا..[3]؛ فالشكلانيون الروس يسلمون بأن النسق في الأثر الأدبي معطى أولي، ومما سبق فإن

---

[1]- خالد زيغمي، نحو أفق دراسة نسقية للظاهرة الأدية وتاريخ الأدب، ص271.

[2]- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص126.

[3]- المرجع نفسه، ص127.

الشكلانية الروسية تعاملت مع الأدب من مبدأ النسق ولاسيما أعمال "تينيانوف" و"ايخنباوم" و"ياكبسون"، ثم تطور هذا التصور عند البنيويين، لاسيما في أعمال مدرسة "براغ".

ب- حلقة براغ ومفهومها للنسق:

عرفت مصطلحات البنية والنسق، عن طريق مؤسسي هذه الحلقة وعلى رأسهم "تروبتز كوي وياكبسون" شيوعا عن طريق تلك المقاربات التي طرحوها في كثير من الملتقيات، إذ يعتبر "ياكبسون"من أبرز النقاد الذين جمعوا بين الدراسات اللغوية واللسانيات العامة أو الدراسات الأدبية والنقدية، فحلقة براغ استفادت من النتائج التي توصلت إليها الشكلانية الروسية فطورت مفاهيمها كما حاولت تعديل البعض منها وخاصة مفاهيم مدرسة جنيف اللسانية وأهم تعديل عدم إغفال البعد التعاقبي في الدراسة الصوتية.

لقد حاولت حلقة براغ استكشاف قوانين بنية الأنساق اللسانية وقوانينها وتطورها، وأرست المبدأ البنيوي

للنسق الفونولوجي، و«عندما نذكر الدراسة الصوتية، فإننا نشير إلى المفهوم الوظائفي للوحدات الصوتية حيث لا يمكن تحديد الصوت إلا ضمن النسق اللساني العام»[1]؛ ومن هنا نلاحظ أن النسق يتشكل من مجموعة من الوحدات الصوتية، الكلمة لاحياة ها إلا داخل النسق اللساني العام كما أشار إليها "عبد القادر الجرجاني" قديما.

جـ- النسق في الدراسات البنيوية:

«تعرف الدراسات البنيوية "النسق» بأنه مجموعة من العناصر المتفاعلة فيما بينها»[2]، وباعتبار أن هذا التعريف يعتبر النسق مجموعة العناصر المستوحاة من الحياة المادية وغير المادية وهذا ما يؤدي إلى تعدد الأنساق حيث يشمل مختلف الحقول المعرفية التي تتشكل من عناصر مختلفة تقوم بينها علاقات تفاعل، حيث انتقل هذا المصطلح من الدراسات

1- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص130.

2- خالد زيغمي، نحو أفق دراسة نسقية للظاهرة الأدبية وتاريخ الأدب، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، "مجلة العلوم الاجتماعية، 23 ديسمبر 2016، ص272.

العلمية الدقيقة إلى اللسانيات والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بل وانتشر أكثر في الدراسات الأدبية وخاصة البنيوية، فالدراسات البنيوية لمتحصر النسق في مفهوم محدد ذلك أنه يختلف باختلاف مرجعيته الفكرية، «فالنسق شأنه شأن السياق، فلا يمكن حصر السياق في منهج محدد كالمنهج التاريخي أو المنهج النفسي أو المنهج الاجتماعي، فلكل منهج طرحه الخاص للسياق، وكذلك الأمر بالنسبة للقراءة النسقية، فالبنيوية تملك تصورا معينا للنسق لا يرقى إلى درجة الإطلاق. فهناك مناهج نسقية أخرى تعارض التصور البنيوي للنسق».[1]

3-2 النسق من منظور الدراسات النقدية العربية الحديثة:

يعد "عبد الله الغذامي" أن كلمة النسق الثقافي توجد في الخطاب العام والخاص بحيث فى تشيع في الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالتها وتبدو بسيطة كان تعنى ما كان على نظام واحد مثل مفاهيمها في بعض المعاجم اللغوية أو تأتي مرادفه لمعنى البنية "structure" أو معنى النظامsystem مصطلح "دوسوسير"، فمفهوم النسق عند الغذامى " له حظور مركزي في مشروعه النقدي فهو يكتسب عنده قيما دلالية وسمات اصطلاحية خاصة، فلم يمرر الغذامي التعريف السائد للنسق على أنه النظام System أو كل ما هو على نظام واحد، وذلك حين أضاف إلى عناصر النموذج اللغوي التي حددها ياكبسون في ستة عناصر هي: المرسل والمرسل إليه والرسالة والسياق والشفرة وأداة الاتصال وجعل وظائفها على التوالي وجدانية ذاتية وإخبارية نفعية وجمالية شاعرية. ومرجعية، ومعجمية وتنبيهية ليكون العنصر السابع هو النسق، ووظيفته نسقية. وهو بذلك يجعل "النسق" مقابلا "للدال" في النقد الأدبي[2].

يشكل مفهوم النسق فهو يعرفه أنه «مجموعة القوانين والقواعد العامة التي تحكم الإنتاج الفردي للنوع وتمكنه من الدلالة، ولما كان النسق تشترك في إنتاجه الظروف والقوى الاجتماعية والثقافية من ناحية، والإنتاج الفردي للنوع من ناحية أخرى، وهو إنتاج لا ينفصل

---

[1]- أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص116.

[2]- محمد عبد الله الغذامي، النقد الثقافي في الأنساق الثقافية العربية، ص08.

هو الآخر عن الظروف الاجتماعية والثقافية السائدة. فإن النسق ليس نظاما ثابتا وجامدا. إنه ذاتي التنظيم من جهة ومتغير يتكيف مع الظروف الجديدة من جهة ثانية أي إنه في الوقت الذي يحتفظ فيه ببنيته المنتظمة يغير ملامحه عن طريق التكيف المستمر مع المستجدات الاجتماعية والثقافية [1].

4- علاقة النسق الثقافي بالرواية:

تجوهر النقد الثقافي تجوهراً غريباً حول مصطلح "النسق" بوصفه الآلية الأكثر اشتغالا في فضاء الإجراء النقدي الثقافي، وقد وضعه الناقد الدكتور عبد الله الغذامي في صلب عنايته النقدية بحيث صار الشعار الأكثر حضوراً في مدونته النقدية، إذ تحول "النسق المضمر" إلى آلة حفرية يصل فيها الغذامي إلى الكشف عما هو خفي غير بارز في النصوص والظواهر الأدبية، بحيث جعل من حداثة أدونيس -مثلا- حداثة رجعية بفضل هذا النسق المضمر الكاشف، وتلقّف كثير من النقاد العرب مقولات الغذامي واعتمدوا مصطلح "النسق" كي يدللوا بوساطته على انتمائهم إلى فضاء النقد الثقافي.

لكن أكثرهم -للأسف- لا يستخدم من آليات النقد الثقافي وعدته المنهجية سوى هذا المصطلح، الذي أصبح في أحيان كثيرة بديلاً للنقد الثقافي برمته حين يكثر هؤلاء من تكرار النسق في كتاباتهم بمناسبة وبغير مناسبة.

إن كثيراً من هذه الدراسات التي تدعي الانتماء إلى ميدان النقد الثقافي لو جردناها من مصطلح "النسق"، واستبدلنا به مصطلح "البعد" -على سبيل المثال- فإنها ستتحول مباشرة إلى دراسات سوسيولوجية محضة، فهي تتعكّز على هذا المصطلح الثقافي متوهمة أنه الطريق الأمثل والوحيد نحو الانضمام إلى فضاء النقد الثقافي، حتى أن بعضهم يتحدث عن جيل نقدي جديد هو جيل (النقد الثقافي) الذي جاء في أعقاب جيل (النقد البنيوي)، وهو

[1]- عبد العزيز حمودة المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك سلسلة عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون العدد 252 الكويت 1997 ص193 194.

بلا أدنى شك ليس سوى وهم كبير لا أساس له من الصحة، لأن الأمر لا يتعدى الدوران حول مصطلح "النسق" لا غير، ومن دون أي تفعيل إجرائي صحيح ودقيق لحراكه الاصطلاحي فيما يكتبون.

- خلاصة:

من خلال ما تقدم في هذا المدخل نستطيع تسجيل أهم النقاط الواردة فيه وهي كالآتي:

- النسق في معناه اللغوي يتجسد في تنظيم الشيء وتتابعه على شاكلة واحدة.
- النسق يوصف بكونه جملة من العلاقات المترابطة والمتماسكة فيما بينها.
- دلت الثقافة في اللغة على الحذق والفطنة وسرعة التعلم وكيفية الظفر بالشيء.
- الثقافة كمكون حضاري تعمل على تفعيل الملكة الذهنية والفكرية للفرد من أجل التأقلم مع المشاكل الاجتماعية.
- تعمل الأنساق الثقافية على كشف المضمرات الموجودة في الخطابات المركزية والهامشية على السواء.

الفصل الثاني

تمظهرات الأنساق الثقافية في رواية "حينما تشتهيك الحياة"

تمهيد:

أولا- الأبعاد الثقافية للعنوان

ثانيا: النسق الاجتماعي في الرواية

1- نسق الفحولة

2- نسق الهوية والتشتت

3- نسق التمرد

4- نسق الاغتراب

ثالثا- النسق السياسي

1- نسق السلطة

2- نسق المعارضة

3- نسق الوطن

رابعا- النسق الأخلاقي

الخلاصة

تمهيد:

يزخر النص الروائي لفضيلة ملهاق بالعديد من الدلالات النسقية التي تكشف عن أنساق ثقافية مضمرة تعكس أحيانا البيئة الثقافية ورؤية الكاتبة للواقع الثقافي بكل ما تحمله كلمة ثقافة من مدلولات اجتماعية، سياسية، دينية وأدبية، كما تستحوذ أحيانا على النص السردي وتوجهه بما يخدم أهداف نسق معين، والملاحظ على هذه الأنساق أنها تتعالق وتتواشج بشكل يجعل كل نسق يعمل بطريقة أو بأخرى على إنتاج نسق آخر وترسيخ دعائمه على الواقع الثقافي بشكل عام وعلى واقع النص الروائي بشكل خاص، وإذا أردنا تطبيق مقولات النقد الثقافي فإننا نهدف بذلك إلى البحث عن المضمر الثقافي، والرواية التي بين أيدينا "حينما تشتهيك الحياة" تحمل بين فقراتها على العديد من الأنساق الثقافية التي نسعى جاهدين لكشفها وكشف ما تخبئه من مضمرات ثقافية باعتبارها أنساق بالغة الأهمية لفهم أبعادها الدلالية ولمعرفة أنساقية العنوان يجب علينا أن نفككه نسقيا حتى نصل إلى العناصر المرجوة وهي كالآتي:

أولا- الأبعاد الثقافية للعنوان:

يعد العنوان مدخلا أساسيا لمقاربة العمل الأدبي نظرا لمكانته الإستراتيجية وتميزه عن قدرة على حمل الدلالة، كما أن العنوان في أي نص لا يأتي مجانيا أو اعتباطيا لأنه بمثابة علامة لغوية تسبق النص وتغري القارئ، وهو من أهم العتبات النصية التي تعمل على توضيح معنى النص الظاهر منه والخفي، فهو الذي يتيح أولا الولوج إلى عالم النص والتموقع في ردهاته ودهاليزه، ولاستذكار أسرار العملية الإبداعية وألغازها[1].

يعد العنوان علامة ثقافية تمكن القارئ من فهم وفك شفراته للولوج إلى مضمون النص، حيث يؤدي دور مهم وفعال في توجيه العملية القرائية للقارئ إذ يفتح المجال للربط بين العنوان ودلالته في المضمون، وفي رواية "حينما تشتهيك الحياة" "لفضيلة ملهاق" حيث يمثل هذا العنوان أولى العتبات التي تمهد للقارئ القراءة من أجل الولوج لعالم الرواية والكشف عن مضموناتها وخباياها للمتلقي.

وقد ورد عنوان النص الروائي في أعلى صفحة الواجهة الأمامية للغلاف باللونين الأسود والأحمر، وجاء مشحونا بالدلالات الثقافية وبالصيغة الفعلية من خلال "حينما تشتهيك الحياة "مما لا يترك مجالا للنقص أو انقطاع الفهم، غير أنه اكتسى هالة من الحضور القوي لشخصية البطل الرافض منذ البداية لما يقبله الآخرون من بني جنسه وقد أضفى هذا التوظيف في صياغة العنوان قوة للعمل الروائي، وأن هذا المضي قدما وراء الآخر سعي ماراتوني إلى تعريته عبر مغامرات أسس لها القياد متخيل ساردها العاطفي جدا، بالإضافة إلى مواكبة سيرورة النسق الإنساني المؤنث وحضوره جنبا إلى جنب النسق المذكر ليظهرا نسقا واحدا متعايشا غير متصارع وبذلك تزول مشهدية صراع الأنساق على صعيد المتخيل الثقافي الجمعي، وبالموازنة فقد وضعت لفظة "رواية" وسط الصفحة لتمييزها عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى كالقصة، حتى لا يقع في لبس إن كان هذا العمل الأدبي

[1]- ينظر، خالد حسين، في نظرية العنوان تأويله في شؤون العتبة النصية، دار التكوين للتأليف والترجمة النشر، دمشق، سوريا، 2007، ص6.

قصة أم رواية، ومنه فقد أعطى لنا الروائي بهذا العنوان نظرة إلى ما يحمله مضمون الرواية حيث يقال في المثل: «الكتاب يقرأ من عنوانه».

ثانيا: النسق الاجتماعي في الرواية:

لكل مجتمع نسق اجتماعي عام تندرج ضمنه مختلف السلوكيات الإنسانية، ويحتوي على مجموعة من النظم والقوانين التي تتحكم في الأفراد، وقد اهتمت الرواية الحديثة والمعاصرة "بهذا الواقع الاجتماعي من حيث تصوراته ومساءلته، وهذا الاهتمام فرضته التحديات الحضارية، ومجموع الخيبات الناتجة عن الإيديولوجيا كما فرضته إمكانية انفتاح الرواية على العديد من الأجناس ومنها علم الاجتماع"[1] .

1- نسق الفحولة:

غلبت فكرة الفحل والسيطرة الذكورية على الذهنية العربية بجنسيها وهذا ما يمرر بين ثنايا الجمالية الأدبية في السرد العربي عموما وفي رواية حينما تشتهيك الحياة خصوصا، ففي السياق العربي تمثل المرأة الفضاء الرمزي الذي يمارس فيه الذكر سلطته وعبره تتحقق تلك السلطة، وتتخذ شكلها الاجتماعي والثقافي والرمزي وفي غيابها يفقد دال السلطة لمدلوله العميق والحقيقي .

ولقد احتل مفهوم الفحولة نسبة كبيرة في الروايات الجزائرية المعاصرة وجاء كرد فعل لنسق "الأنوثة" فقد ارتبط هدا الأخير بمعاني كثيرة رصدتها الثقافة وحددت دورها ومهامها وجعلت منها مخلوقا ضعيفا مستكينا مقيدا ومحدود المواهب، فكان للفحل مركزية العقل وللمرأة العاطفة والهوى، فهي مستغنية عن العقل-تبعا لوجهة المجتمع وقد ورد ذلك في رواية "حينما تشتهيك الحياة" لقد جعلت تصرفات حميد حماد في رومانسية حالمة وواقعية نازفة!

لا تخلو الرواية من خط درامي ينتصر للرومانسية والعلاقات الإنسانية الراقية، بما فيها العلاقات الأسرية والاجتماعية، وفي ذلك تعبر صداقة موسى وحميد فوق الظروف

[1]- عمر مهيبل، قراءات في الراهن العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص.340.

والزمن، وتتعزز بصداقات أخرى تمتد إلى اختيار حياة مشتركة، وبدايات جديدة، في انحياز واضح للتقدم الآمن والتعايش السلمي، ونضج الهدف من الحياة.

تنسج الرواية في سياقها مشاهد للعواطف الصادقة والحب البريء، جمعت حميد بسعيدة، ومعتز بخولة .. وموسى بمهدية التي ظل يحارب من أجلها سنوات، من بعيد، ومن الرواية نقرأ:

"انجذبت إليها انجذاب غواص إلى الأعماق البعيدة. وجدت جمالا لم أكن أحسن النظر إليه، وأناقة لم تتأت لي قبلاً فرصة إدراكها، غير أناقة المظهر. إنها أناقة حسية.. أناقة اللسان.. والفكر.. والأسلوب. كانت تعرف متى تتكلم، ومتى تصمت، ومتى تتفاعل مع أحاسيسي، وكيف ومتى تتجاهلها!كأنها تدارستني في مخبر متخصص، وأحسنت تشخيص سبب تيهاني، فوضى رغباتي، ثم عملت على إعادة ترتيبي قطعة قطعة!"[1]

اللافت أيضا أن الروائية فضيلة ملهاق قدمت حكايات النساء المقهورات اللاتي تدهس الظروف والذهنيات الرجعية أبسط حقوقهن، بعيدا عن شعارات المساواة الشكلية المضللة، فهي تستعرض جراح كل من المرأة والرجل باعتبارها جراح الإنسان، وترى المساواة المثلى في احتفاظ كل واحد منهما بميزاته ومكانته، وقد برعت، في كل مواضيع الرواية وفصولها الستة والثلاثين، في عرض مقولات مفعمة بالقيم والمبادئ الإنسانية، منحوتة كدستور وميثاق مقاومة، مواده الحق والعدل والحب والخير والجمال.

وقد نتج عن حضور رمز المرأة في رواية "حينما تشتهيك الحياة" دلالات عدة لا تقتصر على المرأة في حدها الحرفي أو المادي بل ذهبت بها الروائية إلى أبعد من هذا فكانت الطفلة المدللة ثم المرأة ويمكن التدليل على ما سبق من خلال المقاطع السردية الآتية:

"كانت مهدية فتاة في غاية الرقة والأدب، ذات ابتسامة هادئة مشرقة، وقامة متوسطة، تجمع بين الرشاقة والامتلاء، وشعر أسود حريري، يبدو معه وجهها الدائري

[1]– فضيلة ملهاق، حينما تشتهيك الحياة، ط1، دار العين للنشر، القاهرة، 1443هـ/2021م، ص60.

الناعم، وكأنه طبق قشطة، ولها حضور مميز، وكانت حين تأتي من حي (التوتة) لتزور عمتها، نحس أننا نعيش في كوكب الورد تعبق أحاديثنا بحكاياتهما، وتطوف بنا النجوم في عز النهار، ونحس أن (العليق) جدير بأن يحب"[1].

وفي مقطع آخر تقول:

"هل يمكن أن تكون (إداليا كريت) هي نفسها سعيدة عازم؟ أرهقتني الاحتمالات داومت على الوقوف امام مبنى تلك القناة لمدة ثلاثة أيام متتالية، أول ما ظهرت هرولت نحوها، فمنعني حارسها الشخصي. تأملتني هي قليلا ثم أشارت إليه بيدها أن يفسح لي الطريق. اقتربت منها بذهول، جمدت الكلمات على لساني، لم أعرف بماذا أبدا، وماذا أقول، ارتبكت؛ لدرجة أن ندمت على تلك الخطوة، ماذا لو لم تكن هي؟ أحيانا نبذل جهدا لنصل إلى موقف ما، وحينما نصل إليه نشعر أننا ما كان يجب أن نفعل !تناهى إلى أنفي، مع الحيرة، رائحة عطر نسائي قوي"[2].

نلاحظ أن النسق الاجتماعي على العموم يحمل جاذبية اللغة الشعرية التي تسحر المتلقي ببلاغة الصورة في النص الروائي لتتفوق الكاتبة في الغوص في أعماق المياه واكتشاف أسراره .

كما تقول:

"عرف في الماضي فتاة جميلة ومثقفة ابنة مسؤول كبير. كان الفرق منذ البداية واضحا، بين".[3]

ثم أنسن أحد أنواعه –من جهة وقطراته –من جهة ثانية– لتجتمع كل هذه الصور في لوحة فنية مبتدعة تستحق أن يقف المتلقي قليلاً ليتأمل ملامح شعريتها:

"– أمازلت تحتفظ بولّاعتي؟

---

[1]– الرواية، ص64.

[2]– الرواية، ص162.

[3]– الرواية، ص186.

استدرت إليها في ذهول فأردفت تقول:

– لا أُحب ما يشير إلى الاحتراق.. ما أكثر حروق المرأة في هذا الوجود! وما أكثر وسائل إحراقها: كلمة حب، نظرة إعجاب، ظن، غيرة.. سذاجة.. وهي في ذلك بقدر ما تبذل مشاعرها، ووفاءها، وطيبتها.. بقدر ما تلتهب، وتتأذّى.. وكثيرا ما تتبخر.. وتصبح رمادا![1]"

النساء المقهورات اللاتي تدهس الظروف والذهنيات الرجعية أبسط حقوقهن، بعيدا عن شعارات المساواة الشكلية المضللة، فهي تستعرض جراح كل من المرأة والرجل باعتبارها جراح الإنسان.

2– نسق الهوية والتشتت:

تحاول الروائية تقفّي أثر مجموعة من شبابها الذين يقررون الهجرة السرية، هروبا من حياة تفتقد لمتطلبات أحلامهم، وتزين لهم فكرة أن يلقوا بثقل تطلعاتهم في عرض البحر بلا بوصلة.

تكشف الرواية تدريجيا عن خارطة مخفية للوجود في عالمنا المعاصر، تبدأ معالمها في الظهور من فوق، على متن طائرة العودة إلى الوطن، وإلى الذات المطمورة، في إشارة إلى المصائر العالقة ما بين العلو والسُّفل، وفي الأعماق، على مسافة من الأماني والأهداف، أين تقتطع لنا ذاكرة حميد حماد، الراوي وأحد أبطال الرواية، تذكرة لأحاسيس بعيدة، مختومة بهواجس الحاضر، يقول عنها:

"تسحبني مخيلتي إلى الوراء، بينما عيناي يسايران اندفاع الطّائرة نحو الأعلى!

أهمُّ ما يشغلُنا، منذ أن نولد، هو كيف نستمرُّ إلى الأمام، والحقيقة هو أن معظم حياتنا ركضٌ إلى الخَلْف.. كثيرا ما تقطع بِنا قراراتُنا مسافات وأشواطًا، بينما أعيننا مثبتةٌ في الوراء.

قد تكون في ذلك مأساتُنا، مثلما قد تكون في ذلك سعادتُنا، فما الحياة سوى نظر، وما النّظر سوى انعكاسِنا في مرآة لحْظةٍ ما.[2] "

---

[1]– الرواية، ص152، 153.

[2]– الرواية، ص13.

يظهر أن الرواية تقوم بتحليل مجهري لظاهرة الهجرة السرية (الحرقة)، وتصور بدقة كيف تتقاذف أمواج البحار، والتواطؤ، أبناء العالم الثالث، من عرب وأفارقة وقادمين من مختلف مناطق المعاناة، بلا هوادة ولا رحمة ولا بوصلة، وتكشف عن تلك العلاقات المتشعبة بين رموز فساد الداخل في الأوطان، يمثلها "منور" رئيس البلدية وشبكة من العاملين على تسفير الشباب في هجرتهم السرية، وصولا إلى وحوش الخارج من كل جنس ولون، رموز عولمة استعباد وإذلال الشعوب،

جاءت الهجرة السرية في هذه الرواية خلفية لموضوع أوسع، وأعمق، يتجاذبه ضفّتان، يتقابلان جغرافيا وتاريخيا، وكل واحدة منهما تترصد الأخرى وتترقبها بعين الاشتهاء والرغبة، والنفور أيضا، في ترابط غرائبي لأدوار خفية ومعلنة، مطيتها الإنسان، فذلك القارب البسيط، الخارج ظاهرياً عن المشروع، هو من جهة أخرى نقطة محورية، تدور حولها شرعية عالم غرائبي، يستثير أسئلة تطرح نفسها تدريجيا في الرواية التي تجعلنا نعايش، عن كثب، حياة ومآسي اللاجئين في أوروبا، وما يعانونه من ارتباك وشعور بالقهر وعدم الاستقرار.

تبرع الروائية في وصف العلاقة الثلاثية (الوطن، الاغتراب، الغربة)، وتجر أطرافها في مشاهد متسلسلة إلى ساحة الحصاد، حصاد الأزمنة، والظروف، والرغبات، وتكشف عن حالات ارتباك قصوى، بين حب الوطن والشعور بالقهر، يتجلى ذلك في بوح حميد، بعد زمن من الأحلام والخيبات، في وطن لا يستوعب أحلامه، وغربة تتحايل عليه بأحلام المواطنة:

"عشت معظم حياتي أقلب وجهي في المنافي، أبحث عن وطن، وها أنا ذا الآن منفَى في قلب الوطن"!

وجع الذات المثقل بأوجاع الوطن يتكرر وكأنه مستنسخ بطابعة، في حكاية عاصم العراقي مع (شيلافا) البولندية، وخيباته مع خطيبته زهرة التي أجبره أخوها هدام (في إشارة إلى الهدم والتشريد) على تركها، واستغلاله لها في تحقيق منافع شخصية، وفي وجع شحاتة المصري على أهله وأرضه الذين اضطر للابتعاد عنهم، ومأساة معتز السوري التي تتنقل معه حيثما كان، وموقف خولة زوجته الخليجية من مكان وضع مولودتهما، وفي ذلك دلالات

عميقة عن ارتباك الأوضاع، وتباين الاختيارات والقرارات السائدة حاليا في الأمة العربية، والتي عبر عنها منجي التونسي، في مشهد فراق ذو دلالة، حيث وضع ساعة يده في يد أحد رفاقه وقال:

"قيل لي يوما أنها ساعة الحظ، وأظن أن الحظّ يد وليس ساعة، أرجو أن نبق يدا واحدة، مهما تفرقت بنا السُّبل! "

لكن رائحة الوطن والانتماء قوية وطاغية، فهو الملاذ والدرع والمبتغى، وفي ذلك يحتدم الصراع، على جميع المستويات، ويحاول حميد وموسى وسعيدة وسامي ومنعم وخولة ومعتز وعاصم .. والنفاذ بمخزونهم من المبادئ وحب الوطن، إلى حياتهم المرغوبة بأخف الخسائر، فتظهر صعوبة المعادلة وتبدأ رؤوس الأثمان تطل من الأجندات المتوارية في الضفتين الشمالية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط.

3- نسق التمرد:

يعد التمرد من الأنساق الاجتماعية الظاهرة لكنها تخفي بين طياتها الكثير من الحمولات الثقافية التي تستوجب قراءة ثقافية، باعتباره يحتوي على حمولة فكرية تساعد في فهم السلوك الاجتماعي لدى مختلف الأجناس البشرية، وهذا ما دفع الروائية إلى استنطاق المضمر الذي يخفيه بداية من شخصية البطل التي جاءت بصورة ثورية تطالب بالتمرد على النظام، ومنظومة القيم الاجتماعية في العديد من المقاطع الحوارية من خلال المبالغة في الحرية والتحرر من الضوابط والقواعد وتجلى ذلك في مجموعة من الصور أولها احتقار النظام المسيطر على مدينة ليمونة مع تحطيم نمطية الحياة المتوارثة والمفروضة، لتصبح بذلك الرواية ساحة صراع تحضر فيها كل القيم والقيم المضادة، نتيجة «ازدواجية الفكر النسقي-تمرد على التبعية، تمرد على الاستبداد، لأن الثقافة الجماعية-في هذه الحالة-تجعل الذوات رهائن تتحرك في حدودها[1]»،

[1]- أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1938، ص34.

الرواية في البدء مجموعة من الشباب، منهم حميد ورفيقه موسى، الذين أقدموا على (الحرقة)، وهي الهجرة السرية، بحثا عن مفاتيح السعادة، الحب والنجاح، ولكنها أصبحت مع امتداد رحلتهم مرآة ذاتية لكل من لديه الشجاعة ليستقرأ حقيقته، من خلال اشتهاء فريد.

فقد صادف هؤلاء (الحراقة)، أي المهاجرون السريون، في طريقهم سرا مثيرا ومغريا يندس في تذكارات بسيطة، حولت حياتهم إلى مغامرة معقدة، عجيبة، عابرة للقارات والأزمنة.

اجتازوا البحر على متن قارب بسيط، يحمل أحلاما كبيرة، ووجدوا أنفسهم، أينما يتّجهون وأي شيء يفعلون، في قبضة عالم غريب، محاط بالأسرار والغموض، وفي مواجهة رموز مركبة وألغاز، تكتب أحرف الحياة بشكل لا يخطر ببالهم ولا ببال المحيطين بهم.

التشويق والإثارة والغرابة يطلقون أشرعتهم بعيدا في هذه الرواية، وليس للقارئ بوصلة في ذلك سوى أحاسيسه ومرتكزاتها، التي تستخرج له رموزا، وإشارات، ومصطلحات من لغات عدة.. ومعلومات علمية.

فهي تلقي بنا مباشرة في بحر الحياة، من دون أن تغفل وجود مشاعرنا الجميلة تجاه بعضنا بعض، شواطئ الأمان.

لعل المميز في هذه الرواية هو عنصر التمرد كونها تتناول موضوع الهجرة السرية من منظور مختلف، فهي تتجاوز تلك الصورة النّمطية لقارب سري يبحث عن مكان آمن في العالم، إلى وضعية القارب المعلوم الذي يدور حوله العالم كله، ويراقب أمانه من خلال بوصلته.

إنّها تستنطق دسائس التاريخ البعيد وتطلعات جغرافيا الحاضر، لتعرض على أخشاب قارب (الحرقة) كيف تكتب أمواج البحر حكايات وتمحو أخرى، ومعنى أن تكون القلوب والعقول قاربا تتجاذبه تيارات الوجود.

وبرزت صور التمرد في عدة مشاهد نستهلها كالآتي:

3-1 التمرد على المجتمع:

جاء التمرد على النظام ضمن مجموعة من الأحداث التي تجري وقائعها في مدينة ليمونة، حاولت من خلالها فضيلة تعرية المدينة التي تضج بالغرائبية، وبخاصة العلاقة المتوترة مع الفساد.

باحتمالات دلالية تطالب بضرورة القيام بثورة جذرية على مستوى المدينة بصفتها سلطة وجب العناية بها وفرض شعار العلم دون سواه بعيدا عن التشوهات العلمية والثقافية التي يشهدها المدينة.

اتكأ البطل على الهجاء والنقد الاجتماعي لإظهار نسقية السخط وإبراز صور القبح وقد حاول تقويض مركزية النسق .

"نجحت؟ فشلت؟ أقصى ما يمكنني قوله هو: "حاولت، حاولت أن أكون ناجحا، وسعيدا.. وبريئا.. ومن أجل ذلك، دخلت عوالم ليست متاحة للجميع، وتجولت في بقاع غريبة، وراقصت حوريات الواقع والحلم، وعرفت أقاصي الحب والحقد وشربت من كؤوس الدناءة والمجد..

فرضا أن لساني يطاوعني، ما الذي يمكن أن أقوله له؟ خسرت مرات ما لم أظن أنه يمكنني خسرانه، وظفرت مرات بأكثر مما توقعت... اخترت مرات، واختير لي مرات.. وكان لي في ذلك أشياء، وعلي أشياء.. وعشت لحظات عذاب، ولذة.. القائمة طويلة، لكن لا يسهل أن. فيها مكاسبي من خساراتي، هي متداخلة بشكل شائك". أفرز فيها... ثم عن أي عائلة يمكنني أن أتحدث[1]؟

يظهر المقطع النصي أن الدراسة في ثقافة "البطل" لم تكن هدفا في حد ذاته، إنما علامة ثقافية تختزل في المضمر أفكارا مشجعة على التغيير.

[1]- الرواية، ص183.

يعد توظيف شخصية البطل كرافض للنظام من أولى خطوات الانقلاب التي حاولت بها الروائية كسر نمطية الحياة الثقافية المتوارثة والمفروضة على القرية كما أنه يدرك أن منطق الاستعلاء لا يمكن أن يواجه بالضعف والخنوع، إنما يتطلب صوتا إنسانيا رافضا ومتجاوزا إملاءات سلطة القرية وعوالمها الشائكة، لذا جاءت شخصيته ثورية .

حولت رواية "حينما تشتهيك الحياة" "لفضيلة ملهاق" أخطاء السلطة المركزية إلى مادة روائية، فاستنسخت الواقع بكل تمثيلاته، والانتهاكات اللاقانونية المحركة للصراع بينهما، والّتي تؤثّر سلبا على البنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

3-2 التمرد على الدين:

تتميز الرواية بديناميكية الحوار الداخلي واستمراره في النص لغرض تحقيق الإقناع والتأثير وبلوغ الغاية التي سعى من أجلها البطل المتمثلة في تبرير الإعتداء، فاستعان بعجزه عن التعفف كميكانيزم دفاعي يثبت موقفه الخاطئ الذي يؤسس لسلوك النفاق الاجتماعي، وهذا ما يمثل جنوحا أخلاقيا وانزياحا دينيا وإيديولوجيا نتج عنه واقع اجتماعي يزخر بالانحلال الديني والخلقي وهذا ما يشي بالانتكاسة الدينية وتقهقر الفطرة السليمة التي تصبو دائما إلى العفة والطهارة.

صاغت فضيلة ملهاق من روايتها مقاطع تزخر بالنقد اللاذع مما يضمر خطابا مقنعا عن علمنة الحياة الاجتماعية وفصلها عن الأخلاق والدين في جميع الممارسات العامة والخاصة وربطها بالانفتاح الحضاري على الغرب، محاولة في ذلك تمرير نسق مضمر يحمل رسالة اجتماعية مشفرة لإصلاح منظومة الأخلاق الفاسدة وترسيخ القيم الأصيلة التي تحث على الستر والعفاف.

"مضى علينا وقت من الصمت تناثرت فيه النظرات في كل مكان وحلقت الرؤوس في فضاءات بعيدة، ثم أعادنا صوت رشيد إلى المكان، وهو يقول الموسى: اتق الله في نفسك، سيغمى عليك! ألا يكفي تلك الأصنام التي تبيعها للكفرة الملاعين؟! تغيرت لهجته ونظراته مثلما تغير شكله اختفت القصة القزعة، والسلاسل التي كانت تزين رقبته! أين تلك الضحكة

الرنانة التي كانت تسبقه إلى الحديث؟! أصبح مقطب الجبين، ويوزع علينا نظرات حانقة، وكأنه ناقم علينا! حذرته بإشارة من يدي من أن يتمادى في كلامه، خشيت عليه من رد فعل موسى، فقد كان عادة هادئا، وقليل الكلام، لكن حين يستفز ينقلب إعصارا؛ خاصة عندما يتعلق الأمر برسومه ومنحوتاته[1].

4- نسق الاغتراب:

الاغتراب أنواع متعددة تتولد من مثيرات متنوعة، فالنفس البشرية تعاني مشاكل وأزمات تؤرق كيانها الداخلي، نتيجة لعدم تمكنها من تحقيق ذاتها في المجتمع، مما يجعلها تنأى بنفسها لتعيش حالة العجز والقهر والشعور بعدم الانتماء لكل ما يحيط بها، فهو: "يتعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية، وما يستشعره من غربة في العالم وفتور أو جفاء في علاقته بالآخرين"[2].و يتناول مفهوم الاغتراب في رواية "عندما تشتهيك الحياة" لفضيلة ملهاق عدة جوانب، أبرزها الاغتراب عن الوطن والذات، بالإضافة إلى الاغتراب الناتج عن الحرب والتشرد. تتجلى هذه المفاهيم من خلال شخصيات الرواية التي تعيش تجارب قاسية ومريرة في ظل ظروف استثنائية، مما يدفعها إلى الشعور بالضياع والانفصال عن محيطها.

من أهم أنواع الاغتراب المذكورة في الرواية نجد:

4-1 الاغتراب النفسي:

الاغتراب في حقل علم النفس ما هو إلا نتاج لحالات الجفاء التي يحس بها الإنسان في علاقاته بمن حوله، وكذلك يرجع إلى فقدانه لتوازنه النفسي والعقلي عندها يدخل في حالة الاغتراب عن ذاته وعن الآخرين. ومن تمثلات نسق الاغتراب النفسي في الرواية:

"حلقت الطائرة في السماء.. وفردت الذكريات أجنحتها. الجو مغيم كتيب يوحي بالغروب في عز الظهر، أشعر بالانقباض والوحشة، بأنني فرخ يناوى تيهانه، بزغب مخيلته.

---

[1]- الرواية، ص39.

[2]- الاغتراب سيرة المصطلح، محمود رجب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1988، ص 35.

بحر الذاكرة ليس به برزخ، اللذة والألم فيه موجتان متلاطمتان، يصعب أن تنغطس في إحداهما من دون أن تلامس الأخرى، ولو رذادا. ما أشقانا! نحن نعيش الكثير من آلامنا أكثر من مرة، مرة حين تحدث، ومرات في الذكرى. لهذا لسنا نبتسم دائما بابتهاج، وإنما النواري نزف الماضي في حاضرنا، أو لنكمد جرحنا الطازج بشيء من ماضينا.آه! لو أنزل على الأرض فقط بحاضري![1]

هذه الشخصية تعاني اغتراباً نفسياً، وهي هنا شخصية باحثة عن ذاتها من أجل رد الاعتبار لنفسها، إذ هي شخصية تتأمل ماضيها وحاضرها محاولة شق الطريق نحو المستقبل مكتشفة أن الحياة صراع لا مكان للحياد فيه.

وقد أخذ اغترابه منجد إيجابياً تجلى في محاولة البحث عن فرص جديدة من أجل استثمارها، فيتأمل ماضيه وحاضره بقدر من الوعي والنضوج، هذا ما أدى به إلى اختيار المواجهة بدل الهروب من واقعه.

4-2 الاغتراب المكاني:

حضر هذا النوع من الاغتراب بكثرة في المدونة جسدته الشخصيات البطلة التي تعاني أزمة مع الأمكنة التي تعيش فيها، وتعرف حنان بومالي الاغتراب المكاني بقولها: ظاهرة يسيرة إذا ما قيس بالاغتراب الوجودي الذي يجد جوه الفيزيقي في أعماق النفس البشرية وهو أقرب إلى معنى الغربة لأنه حالة اجتماعية يستشعر المرء فيها البعد والانفصال عن مجتمعه وجماعته فلا ينتمي إلى المجتمع فلاحب الاختلاط بالناس لأنهما في نظره من عوامل ضياع ذاته الحقيقية وشخصيته الفردية ولذلك ينشد دائما التجوال والارتحال والسفر فهو بذلك الإنسان الشقي الذي ينطبق وصفه بالمحنة بعد المحنة، يشعر بالاقتلاع في هذا العالم ولا جذور تربطه به ولا يقوى على الاستيطان فيه[2].

---

[1]- الرواية، ص14.

[2]- حنان بومالي: الاغتراب وتحولات النص الشعري لبلند الحيدري، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع، جيجل الجزائر، ط1، 2017، ص27.

نفهم من هذا التعريف أن هذا الشكل من الاغتراب هو حصيلة تصدع العلاقة بين الإنسان المغترب والبيئة الجغرافية التي يعيش فيها، مما يقوده إلى رفض الاختلاط بأفراد جماعته. ومن مظاهر الاغتراب المكاني في الرواية:

"تدخل السكرتيرة، فأشعر بالحرج، لحسن الحظ أنني أحتفظ بتباني ينظر إليها هو نظرة الخَلُوق المصدوم، ويقول بخبث يخالطه الحقد: – (حراق) وقح !

شتمني أم مدحني؟ لست أدري أصبح لي أكثر من جواز سفر، ولا زلت في نظره مهاجرا غير شرعي مجرد نكرة معرفة بالخطر، الوضع الذي تسبب فيه هو وأمثاله[1].

تبرز في هذا المقطع عن عدم وأنه يعيش عزلة فلا هو يطيق المدينة ولا هي تستأنس به وهذا جعله يعيش مشاعر الجفاء والانفصال الروحي والعاطفي اتجاهها. تعكس الرواية معاناة الشخصيات من فقدان الوطن والانفصال عنه، سواء بسبب الهجرة أو الحرب. هذا الاغتراب لا يقتصر على الجانب المكاني، بل يمتد ليشمل فقدان الهوية والانتماء.

ثالثا– النسق السياسي:

لا شك أن السلطة السياسية أداة من أدوات التحكم في المجتمع وتوجيه أفكاره وثقافاته والتأثير في موروثاته الفكرية، والأنساق بحكم أنها النواة الأولى في تكوين مجتمعه من جهة، صار تأثر السياسة المنتهجة عليه والتي ستدخله في مد وجزر بين ما يرفض ولا يرضى وما يخالف أيديولوجياته وما يوافقها ذلك ما نلمسه في الأنساق المضمرة في هذه الرواية.

يلاحظ المتلقي لأعمال "فضيلة ملهاق" أنها تزخر بالأنساق السياسية المضمرة، كما أن كتاباتها تستجيب لشروط القراءة الثقافية، فنصوصها تصنّف بأنها نصوص جمالية، كما أنها تتمتّع بجماهيرية واسعة ومقروئية عالية، مما يتيح للأنساق المتنوعة التأثير في الوعي الجمعي، إضافة إلى أن الإضمار في خطاب الروائية يحدث عنه وجود نسقين متضادين

[1]– الرواية، ص404.

المضمر منهما ناقض وناسخ للعلني، وهذا ما ظهر في النص الروائي " حينما تشهيك الحياة" موضوع الدراسة.

قد آثرنا في هذا المبحث أن نركز على نسقيين رأينا أنهما مهمان لموضوع البحث، كما رأينا أنهما من أدق التفاصيل التي صنعت التفاعلات السياسية:

1- نسق السلطة:

يعتبر نسق السلطة من المحاور الفكرية الأساسية التي يعالجها النص الروائي المعاصر، ولهذا شكل بنية تحتية مهمة انبثقت عنها الرواية خاصة على مستوى العلاقات الداخلية التي تربط بين المواطن والسلطة التي تكشف عن الإيديولوجية المهيمنة في النص، حيث لم يوظفها الكاتب عبثا إنما لضرورة ثقافية.

"ارتسمت في عيني ماركات ملابسه الفاخرة، وتراءت لي سيارته الجميلة المركونة على بعد أمتار منا، والبيت الواسع، النظيف، الذي كان سيقصده، والفراش الوثير الذي سيستلقي عليه.كان كل شيء فيه يوحي بأنه يتلذذ بوجوده، حتى طريقة ارتشافه المشروب، كان يمرر شفتيه على حواف الكأس وكأنه يلثم ثغر حبيبته. نظرت إليه بشيء من الغيرة، وقلت في نفسي: "هل كان يجرؤ أن يستعرض تشاطحه الفكري، لولا ترفه المادي؟[1]

إن العدوانية "هي قوة يؤكد بها المرء ذاته ويؤسس عليها شخصيته، فالإنسان بدون هذه القوة يصبح عاجزا عن الاضطلاع بالوقوف في مواجهة الآخر وبدون هذه القوة يصبح في حال هروب دائمة من الآخر، ويصبح أسير الخوف الذي بردعه في مقابل العدو[2]"، وهذا ما يظهر في المقطع النصي التالي:

- "لقد شعر بثقب في روحه، ثُقب في وسط جسده بين صدره وبطنه، ثقب كبير كأنه نافذة يستطيع أن يرى منها ما خلفه.

---

[1]- الرواية، ص41.

[2]- إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص25.

يكشف النص الروائي عن واقعية مشحونة تفصح عن سلوكيات السلطة اتجاه المعارضة عبر آلية السخط والرفض التي استحضرتها فضيلة ملهاق التي تهدف إلى مدينة ليمونة التي تعبر على أي مدينة عربية ونقدها وتصوير الواقع المرير.

وعليه فالصراع بين البطل والمدينة يصنف ضمن جدلية الأنا والآخر أو ما يطلق عليه في النقد الثقافي بأنساق وتمثيلات الغيرية، فالعلاقة بين هذين الطرفيين علاقة ومعاداة واختلاف في منطلقها، وبهذا يظهر النسق السياسي كمحرك للأحداث حيث صور الكتاب الصراع بينهما على امتداد صفحات النص الروائية.

"إذ تجدد السلطة المراكز بالنظر إلى جملة من المصالح، وتحتكم إلى مجموعة من الرؤى الإيديولوجية، ما يجعلها نظرة تخضع للانحياز، ويتم وفقها إعادة رسم الأدوار، وترتيبها بما يضمن للذات، كل مظاهر الفوقية والسيطرة، عن طريق تهميش الآخر واستعباده[1]"، والزج به في دائرة الخطر واللاعودة.

2- نسق المعارضة:

شغل حضور نسق المعارضة مساحة واسعة على خارطة الإبداع في الرواية وتطوراتها المتنوعة وتحولاتها المختلفة، إذ احتفى عدد من الكتاب بهذا النموذج، ووجدوا فيه فضاء مفتوح للتعبير عن تناقضات الواقع، إذ اختارت فضيلة الحديث عنها وعن علاقتها الحديثة.

وحاول "البطل" مدفوعا بوعيه، تزعم العصيان السياسي نتيجة استلاب الحقوق على يد النسق السلطوي وهو ما يعكس جرأة النسق الضدي واتساع حجم الصراع الفكري بين المعارضة والسلطة، فقد أبرز اختلاف المواقف بينهما، على مدار المتن الروائي، حمولات ثقافية عند البطل بما يمثله من نموذج مناقش لقوى الاستسلام، والرضوخ بالواقع، وهذا ما ركزت عليه الروائية:

[1]- غزلان هاشمي، تعارضات المركز والهامش في الفكر المعاصر عبد الله إبراهيم أنموذجا، دار نيبور للطباعة، العراق، ط1، 2014، ص 17.

"تأخذ سعيدة مكاني، وتمعن النظر في الأوراق المتناثرة على الطاولة ثم تقوم برسم محيط جسد الإنسان، وتبدأ بتوزيع النتائج عليه: السير يبروم (الرأس)، الأوكولوس الأعلى والأوكولوس الأدنى (العينان) الكولوم (الرقبة)، المانيبوس (اليد) الإينبيدي (القدم).

تحاول أن تشرح لي فرضيتها، قائلة: – هذا هو جسد الأكتيمو:

(الإينبيدي) يكفل تنفيذ سياسات التنظيم، ودعم مصالحه، فهو قدمه التي يتحرك بها في كل مكان، ويدوس بها أيضا على ما يقف عشرة في طريق أهدافه.

(المانيبوس) هو اليد التي تندس في كل أمر، تتدخل في سياسات الدول، وتقوم بنفيذ العمليات لفائدة (التنظيم)، مثل تغذية الصراعات، أو تنفيذ اعتداءات مسلحة، أو إثارة الفوضى.. أو خلق مشاكل من أجل قلب نظام سياسي ما.. وإدارة عمليات تبييض الأموال.

(الكولوم) هو الرقبة التي تدعم التنظيم بالنفس القوي، من خلال التواجد في الهيئات الدولية، والسلطات الداخلية. (الأوكولوس) هما هيئتان للرقابة والتوجيه، وتوحيد الرؤيا، والنشاط، وكذلك فرض النظام.ماذا بقي؟ (السيريبروم)؟ أظنه الرأس المدبر، أو الدماغ، مثلما يدل عليه معناه[1].

يبرز المقطع السردي أن الإيمان بالمعايير الأخلاقية والفكرية جعلت البطل يشعر بنسقية العبث والضياع وعدم الانسجام مع الفساد السياسي وهذا إسقاط على الواقع المعاش، حتى وإن تجسد ذلك في شكل "معارضة" تؤسس "لصوت منبثق عن هامش السلطة، حيث تسعى إلى بناء خطاب مضاد انتهاكي يقوض مزاعم النظام[2]"، فالمعارضة في ثقافة "البطل" لم تكن هدفا للذة والتسلط على الآخر، إنما هي علامة سيميائية لصوت العقل المشجع على الحرية والعدل والكرامة.

يتواصل الحضور الفعال للبطل المثقف في الرواية لتمرير رسالة مفادها أن التغيير أصبح ضرورة ملحة وحتمية تحتاج لإرادة فعالة وقوية حيث أحسن الكاتب استثمار نسق

---

[1]– الرواية، ص394.

[2]– ينظر: محمد بوعزة، سرديات ثقافية، ص 161.

الحرية باعتباره منطوق متخم بالدلالات الثقافية فهو يشير بالضرورة إلى فكرة قداسة الحرية كونها أساس مهم من أسس الوجود الإنساني فالحرية كمعطى فلسفي ذو أبعاد روحية وفعل ديناميكي لا يغيب عن ذاكرة الشعوب وهذا ما حاول البطل تجسيده في الواقع.

هذه الثنائية المتعاظمة (الحرية والعبودية) في المخيلة والرؤى الجماعية هي التي وجهت خيال الروائي ليشكل لنا شخصية مثقفة إيجابية ونسق مستبد يتمثل في التماهي مع العبودية، وهذا ما يضمر عن تغلل التبعية في جميع مناحي الحياة السياسية والاجتماعية وإقصاء حق التعبير والرفض، ومنه جاء المثقف في صورة نمطية متوارثة تشي بالذكاء والفطنة والتطور الفكري.

وفي ظل وضع سياسي متأزم حيث يشير النص أكثر مرة إلى ثقوب القرية للإشارة إلى الخروقات التي تكشف الحجب التي تغطي ادعاءات سلطة المركز الذي يحاول بطرق متنوعة البقاء على بسط نفوذه واختزال المثقف الهامشي في صور نمطية تكرس بها وعجزه عن التواصل وعلى إيجاد قنوات الحوار وسط الهيمنة المركزية.

أهب من الفراش دفعة واحدة، وأختطف الورقة من يدها، أمعن النظر فيها، ثم أقول:

– تنقص طبقة كاملة، أين هو الأكتيمو)؟ أظنه حجر الأساس، وإلا فلماذا يسمى ميثاق (الأكتيمو)، تحديدا؟ تأخذ الورقة من بين يدي، وتغيب لوقت، ثم تعود إلي وتقول: –أظن أن الحلقة الناقصة توجد في الكتاب الذي أعطاه لك إبراهيم، (أكتيمو) هو اختصار لمصطلح (أكتيموري) (1)، فهو يجسد الطبقة الكادحة، المنزوعة الحقوق في ميثاق الأكتيمو)، وهذا ينطبق تماما على وضعية الأكتيموري) في النظام الاجتماعي لروما القديمة، انظر هنا.

أقرأ بصوت مسموع: "الأكتيموري هم فلاحون، أصحاب السدس، في النظام الأثيني، إذ اعتاد الأثينيون أن يستعبد صاحب الدين غير القادر على دفعه، بحيث يصير رقيقاً عند الدائن، واختلف المؤرخون في طبيعة هذه التبعية، هناك من اعتبرها استعبادا، وهناك من اعتبرها صورة من صور الأسر".أقارن بين الوضعيتين، وأقول لها: –هناك فعلا تشابه غريب

بينهما! يبدأ عهد (الأكتيمو)، أو دينه بتمكينه من مطمح ما، ولا يحق له بعدها أن يرفض أي عرض! وكذلك يصبح (الأكتيموري) عبدا عندما يعجز عن دفع دينه[1].

3- نسق الوطن:

لقد كان للوطن أثر كبير في الرواية ونلتمس ذلك في الوصف الدقيق الذي قدمه الروائي: "كنت شابا مفْعما بالحماس والطموح، أعيش في مكان مثل (العليق)، معبر قاحل للحياة، كل شيء فيه يتواطأ على جعلي أذوب في فنجان نمطي، ضيق، يجترع فيه الناس المرارة باستسلام خانق، عن جهل، أو عن قهر مكبوت[2].

إذا ما تمعنا جيدا في هذا الوصف، نلاحظ بأن الروائي يخبرنا بأن أرض "العليق" الوطن لم سوى مكان للاغتراب بالنسبة للبطل.

اغترابا نفسيا وماديا، يتموضع في حالة من الانفصال أو التمزق عن الوطن والشعور بالقهر يتجلّى ذلك في بوح حميد بعد زمن من الأحلام والخيبات في وطن لا يستوعب أحلامه وغربة تتحايل عليه بأحلام المواطنة "عشت معظم حياتي أقلب وجهي في المنافي، أبحث عن وطن، وها أنا ذا الآن منفي في قلب الوطن"[3]. حتى داخل حدود الوطن الجغرافية تظهر الشخصيات وكأنها مغتربة غير منسجمة مع الواقع السياسي والاجتماعي يظهر الوطن في هذا السياق كمصدر للألم أو القهر لا كحضن دافئ، هذا النسق يجسد بشكل ضمني نقدا للأوضاع، في موضع آخر يعبر حميد عن رفضه المادي والروحي للغربة، ويجسد قضية الوطن كمرآة لما يفقده الإنسان عبر الاغتراب "لست أميل إلى لبس الساعات، خاصة باهضة الثمن تشعرني بما يقتطع من أعمارنا برخص"[4].

---

[1]- الرواية، ص395.

[2]- الرواية، ص16.

[3]- الرواية، ص377.

[4]- الرواية، ص233.

كما أظهرت الروائية الشوق العميق للوطن رغم الحركة رويدا رويدا نحو مستقبل مجهول "تسحبني مخيلتي إلى الوراء، بينما عيناي يسايران اندفاع الطائرة نحو الأعلى! قد تكون في ذلك مأساتنا مثلما قد تكون في ذلك سعادتنا"[1].

نسق مركب بين الانتماء والنفور إنه وطن رغم الألم، ويشتاق إليه رغم الجراح، يحلم بعالم آخر غير وطنه ويشده الحنين لوطن عاش فيه رغم مرارة الظروف.

رابعا- النسق الأخلاقي:

تتحكم الأخلاق في تصرفات الناس وحياتهم وتأثيرها في نفوسهم وتهذيبها وهذا ما يسعى إليه الدين الإسلامي له، هذا الدين الذي يبنى على التصفية والتربية، تصفية النفوس من كل الشوائب والرواسب، وتربيتها على حسن القول والعمل، فكان لزاما على المسلم تطبيق أحكام دينه الخلقية من بلوغه حتى مماته؛ تلك العقائد والأحكام تنطبع عليها النفوس وتصير جزءا من يومياته التي تنعكس من كل ما يبدر منه سلوكيات محمودة ومنبوذة.

إن الاعتماد الكتابة الروائية على النسق الأخلاقي، ما هو إلا ضرورة ثقافية لجأ إليها الكتابة للكشف عن انحطاط الواقع الاجتماعي والانتكاسة للمدينة، مما جعل نصوصهم تتسم بأساليب تشي للمتلقي عن المكونات الدلالية التي تكشف لديه المعاناة من المشاكل بشتى أنواعها، بالإضافة إلى اتصال النص الروائي بمنظومة أخلاقية، تحتم عليه الترويج للمبادئ والأفكار التي تساير المؤسسة الدينية والاجتماعية التي تؤمن بها وتدافع عنها فكرا وعقيدة، ولكن مع تفسخ المجتمع وانتشار السلوكيات الدنيئة كان لابد على الرواية أن تتمرد وتعري هذه الظواهر الدخيلة والتي تحولت إلى جزء من الثقافة الشعبية وبدأت تفرض نفسها في البيئة الاجتماعية.

لقد ارتبطت تكوينية النص الروائي لدى "فضيلة ملهاق" بحيثيات أخلاقية، إذ تزخر رواية "حينما تشتهيك الحياة" بالأنساق الأخلاقية التي شكلت الخلفية الثقافية والإبداعية والمعرفية التي تكون ضمنها النص، وحضور النسق الأخلاقي سمح بإنتاج دلالات متميزة للنظام الفكري.

---

[1]- الرواية، ص13-14.

الخلاصة:

"حينما تشتهيك الحياة" هي رواية للروائية الجزائرية فضيلة ملهاق، صدرت عن دار العين للنشر في القاهرة، تدور أحداث الرواية حول شباب يختارون الهجرة السرية بحثاً عن أحلامهم، وتتناول قضية الهجرة السرية بشكل جريء. الرواية هي رحلة متفردة بين نصفي الكرة الأرضية، وتستكشف مكنون الدواخل في مراحل عمرية مختلفة.

- الرواية تثير قضية الهجرة السرية وخطورتها، وتجعل القراء يفكرون في دوافع الشباب الذين يختارون هذه المغامرة.

- الرواية تستكشف مكنون الدواخل الإنسانية، وتتناول المشاعر والأحاسيس التي يمر بها الأفراد في مراحل مختلفة من حياتهم.

- الرواية تطرح سؤالاً حول كيف تصبح الحياة هي التي تشتهينا، بدلاً من أن نسعى نحن إليها، مما يثير تساؤلات فلسفية حول معنى الحياة.

- الرواية تقدم للقراء تجربة قراءة متفردة، وتدعوهم إلى التفكير في الأفكار والمعاني التي تثيرها

الخاتمة

في ختام هذا العمل البحثي الذي حاولنا من خلاله مقاربة رواية "حينما تشتهيك الحياة" للكاتبة فضيلة ملهاق، من زاوية الأنساق الثقافية، نخلص إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- يتّضح أن هذه الرواية ليست مجرد سرد حكائي يتتبع مسار الشخصيات أو يعكس صراعاتها الداخلية فحسب، بل يمكن القول إن هذا العمل السردي شكل أرضية خصبة لتحليل الأنساق الثقافية الكامنة والمضمرة في البنية الروائية والكشف عن تمثلات المجتمع وتناقضاته، عبر توظيف أدوات وآليات مستمدة من النقد الثقافي.

- لقد عكست الرواية تنوعا ثقافيا لافتا من خلال اللغة المستخدمة في الرواية، حيث تداخلت اللهجات المحلية مع لغات أجنبية كالفرنسية والإنجليزية، ما أضفى على الخطاب السردي طابعا متعدد الثقافات.

- تناولت الرواية إشكالات الهوية، في أبعادها الفردية والجماعية، من خلال شخصيات تبحث عن ذاتها وسط صراعات داخلية وخارجية تعبر عن تشتت الهوية وتفكك الانتماء.

- برزت العلاقات الإنسانية في الرواية كأنساق ثقافية، تتقاطع فيها القيم الاجتماعية مع التجربة الفردية، حيث يتم استكشاف العلاقات الأسرية والأخوية والاجتماعية، التي كانت مرآة لمجتمع مأزوم بالتحولات، وكيف تؤثر هذه العلاقات على الشخصيات وتشكيل هوياتها.

- عبرت الرواية بوضوح عن نسق البحث عن الذات، وهو نسق ثقافي عميق، يظهر من خلال انشغال الشخصيات بالأسئلة الوجودية الكبرى ومحاولات اكتشاف المعنى والغاية من الحياة وهويتها ومكانها في العالم.

- تم استخدام المكان والزمان في الرواية لخلق أجواء ثقافية معينة، فقد شكّلا خلفية ثقافية غنية جسدت ملامح البيئة التي تتحرك فيها الشخصيات، وعكسا أبعادا اجتماعية ونفسية متعددة.

وبناء عليه، فإن رواية الكاتبة الجزائرية فضيلة ملهاق "حينما تشتهيك الحياة" ليست مجرد عمل سردي بل نص ثقافي بامتياز، يعيد طرح الأسئلة حول الهوية والانتماء والذات وتشتتها، ويقدم قراءة عميقة للواقع من منظور ثقافي، يجعل من الأدب أداة للتفكير والتحليل تساعد في استكشاف الثقافات المختلفة، لا مجرد متعة جمالية إبداعية.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع

أولا- المصادر:

1.فضيلة ملهاق، حينما تشتهيك الحياة، ط1، دار العين للنشر، القاهرة، 1443هـ/2021م.

ثانيا- المعاجم والقواميس:

2.إبراهيم مصطفى حامد عبد القادر وأخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول-تركيا، مجمع اللغة العربية، ج 1، د.ط، د.س.

3.ابن منظور أبو الفضل بهاء الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، مادة (نقد) ج 14.

4.أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ج5، د.ط، 1399هـ-1979م.

5.أبو الحسن بن هانئ الشهير بأبي نواس، الديوان، دار صادر، بيروت، د ط، دت.

6.أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1938.

7.أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، دط، د ت، ج2.

8.الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الفتاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د.ط)، 1986، ج23.

9.مجد الدين الفيروز أبادي، قاموس المحيط، تح: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-ل بنان ط3، 1430هـ-2009م.

10.مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

ثالثا- المراجع:

11.**إبراهيم الحيدري**، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2015.

12.**مجموعة من الكتاب**، نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1978.

13.**إحسان عباس**، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: دار الثقافة، بيروت لبنان، طه، دت.

14.**أحمد أمين**، النقد الأدبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر، د ط، 1992م.

15.**أحمد يوسف عبد الفتاح**: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، بيروت، الجزائر، ط1، 2010.

16.**جمال بن دحمان**، الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري، الرؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2011.

17.**جميل حمداوي**، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، مكتبة المثقف، ط 1، 2006م.

18.**حفناوي بعلي**، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن المنطلقات المرجعيات المنهجيات، دار العربية للعلوم/ ناشرون، ط1، بيروت، 2007،

19.**حنان بومالي**: الاغتراب وتحولات النص الشعري لبلند الحيدري، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع، جيجل الجزائر، ط1، 2017.

20.**خالد حسين**، في نظرية العنوان تأويله في شؤون العتبة النصية، دار التكوين للتأليف والترجمة النشر، دمشق، سوريا، 2007.

21.**عبد العزيز حمودة** المرايا المحدب، من البنيوية إلى التفكيك سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون العدد 252 الكويت 1997.

22.عمر مهيبل، قراءات في الراهن العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

23.غزلان هاشمي، تعارضات المركز والهامش في الفكر المعاصر عبد الله إبراهيم أنموذجا، دار نيبور للطباعة، العراق، ط1، 2014.

24.محمد بن لافي اللويش، جدل الجمالي والفكري (قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغذامي)، النادي الأدبي بحائل، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

25.محمد عبد الله الغذامي، النقد الثقافي في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي بيروت، ط3، 2005.

26.محمود رجب، الاغتراب سيرة المصطلح، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1988.

27.محمود عبد المعبود مرسى، علم الاجتماع عند تالكوتبارسونز، بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، (دراسة تحليلية نقدية)، دار النشر القصيم، السعودية، ط1، 2001م.

28.هيثم عزام: النقد الثقافي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط2014.

29.يوسف عليمات، النسق الثقافي، (قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009.

رابعا- المراجع المترجم:

30.أرثرأيزابرجر، النقد الثقافي (تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية)، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بسطويس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

31. بتيرل بيرجر، ماري روجلاس وآخرون، التحليل الثقافي، تر: فاروق أحمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2009.

خامسا- المجلات:

32.خالد زيغمي، نحو أفق دراسة نسقية للظاهرة الأدبية وتاريخ الأدب، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، "مجلة العلوم الاجتماعية، 23 ديسمبر 2016.

33. فتيحة طويل، النظرية الوظيفية الجديدة وتحليل البناء الاجتماعي، مجلة التغير الاجتماعي، ع1، جامعة بسكرة- الجزائر.

الملاحق

ملحق (01): نبذة عن الروائية فضيلة ملهاق

فضيلة ملهاق، روائية وشاعرة جزائرية تتميز بتكوين عال متنوع، لها مؤلفات أدبية وعلمية.

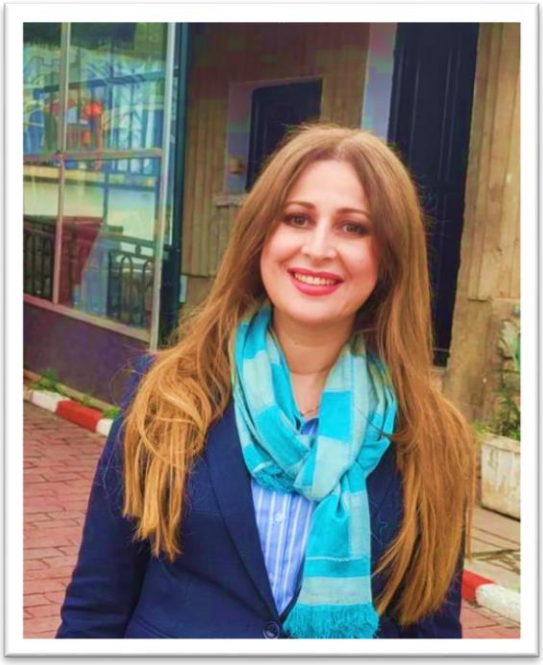

حاصلة على شهادتي بكالوريا، في الرياضيات وعلوم الطبيعة والحياة، وعلى شهادات عليا متخصصة:

- شهادة المدرسة العليا للقضاء، الجزائر.
- دكتوراه في القانون.
- دبلوم الدراسات العليا المتخصصة في الدبلوماسية.
- شهادة جامعية أوروبية في مجال فضاء المعلوماتية Cyberespace.
- شهادات دولية في تكوين الخبراء في مجالي القانون الدولي الإنساني والإجرام الإلكتروني، وشهادات عدة في مجالات مختلفة، منها اللغات الأجنبية.

للمؤلفة أعمال أدبية منشورة في الجزائر والخارج، منها:

-الرواية: ذاكرة هجرتها الألوان، لعنة اليربوع، رميم.

-المجموعات القصصية: الطباشير، خارج مجال التعرية، للعرض.. غير قابلة للرسم.

-دواوين الشعر: قهوة باردة، مارد من عصر الحجر، سبورة أفلاطون، الفيفا تستحم في الجزيرة، أمقورش في الجامعة، المذبوحة والمسلوخة.. والمقطعة، رائحة البرميل، حزنك أكبر منك ومنى.

- من مؤلفاتها العلمية: حماية حقوق الإنسان أثناء النزاعات المسلحة، واقع ،ورهانات وقاية النظام البنكى الجزائري من تبييض الأموال، القرصنة المعلوماتية، التفاوض وإدارة الأزمات الدولية[1].

[1]-فضيلة ملهاق، حينما تشتهيك الحياة، دار العين للنشر، ط1القاهرة، 1443ه2021م، ص430-431.

ملحق (02) ملخص رواية "حينما تشتهيك الحياة"

تقدم رواية "**عندما تشتهيك الحياة" لفضيلة ملهاق** تجربة منفردة، ابتداء من الانتقاء الرمزي لمكان الرواية مدينة الليمونة، مدينة من مدن الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، يمكن أن تمثل نموذجا لبيئة من العالم الثالث، مدن تغص بالبطالة والفساد، وأحلام الهجرة التي جسدتها مجموعة من شباب هذه المدينة الذين قرروا الهجرة السرية هروبا من حياة تفتقد لمتطلبات أحلامهم، تبدأ معالمها في الظهور من فوق، على متن طائرة العودة إلى الوطن والى مراجعة الذات في إشارة إلى المصائر العالقة ما بين العلو واسفل أين تقطع لنا ذاكرة حميد حماد الراوي واحد أبطال الرواية تذكره لأحاسيس بعيدة مختومة بهواجس الحاضر، يقول عنها: "تسحبني مخيلتي إلى الوراء بينما عيني يسايران اندفاع الطائرة نحو الأعلى".

كلما توغل القارئ في أحداث الرواية يزداد شعوره بانه يتعرض لعملية اختراق لا مفر منه وكانه أمام مرآة متعددة الانعكاسات فهي تستدرجنا خلال 429 صفحة إلى مخابر الحلم والواقع بجرأة لا تخلو من الوعي ينطلق العمل الروائي ببراعة من عمق حي العليق حي بائس يقع في قلب مدينة "الليمونة" حيث تتكئ الرواية على تحليل مجهري لظاهرة الهجرة السرية "الحرقة" وتصويرها بدقة كيف تتقاذف أمواج البحر وتواطئ أبناء العالم الثالث من عرب وأفارقة قادمين من مختلف مناطق المعاناة وتكشف عن تلك العلاقات المتشبعة بين رموز الفساد الداخلي في الأوطان يمثلها "منور" رئيس البلدية وشبكة من العاملين على تسفير الشباب في هجرتهم السرية وصولا إلى وحوش الخارج من كل جنس ولون.

جاءت الهجرة سرية في هذه الرواية خلفية لموضوع أوسع واعمق تتجاذبه ضفتان تتقابلان جغرافيا وتاريخيا وكل واحدة منهما تترصد الأخرى بعين الاشتهاء والرغبة والنفور أيضا في ترابط غريب لأدوار خفية ومعلنة مطيتها الإنسان فذلك القارب البسيط الخارج ظاهريا عن المشروع هو من جهة أخرى نقطة محورية. تدور حولها شرعية العالم المتناقض، يثير أسئلة تطرح نفسها تدريجيا في الرواية التي تجعلنا نعايش عن كثب حياه ومآسي اللاجئين في أوروبا وما يعانونه من ارتباك وشعور بالقهر وعدم الاستقرار.

تبرع الروائية في وصف العلاقات الثلاثية "الوطن، الاغتراب، الغربة" وتجر أطرافها في مشاهد متسلسلة إلى ساحة الحصاد، حصاد الأزمنة والظروف والرغبات وتكشف عن حالات ارتباك قصوى بين حب الوطن والشعور بالقهر يتجلى ذلك في بوح حميد بعد زمن من الأحلام والخيبات في وطن لا يستوعب أحلامه وغربة تتحايل عليه بأحلام المواطنة.

وجع الذات المثقل بأوجاع الوطن يتكرر وكانه مستنسخ بطابعة في حكاية 'عاصم' العراقي مع "شيلافا البولندية" وخيباته مع خطيبته "زهرة" التي اجبره اخوها 'هدام' في اشارة إلى الهدم والتشريد على تركها واستغلاله لها في تحقيق منافع شخصية. وفي وجع 'شحاته المصري' على أهله وعرضه الذين اضطر للابتعاد عنهم ومأساة 'معتز السوري' الذي تنتقل معه حيثما كان، وموقف خولة زوجته الخليجية من مكان وضع مولودتهما، وفي ذلك دلالات عميقة عن ارتباك الأوضاع وتباين الاختيارات والقرارات السائدة حاليا في الأمة العربية، والتي عبر عنها 'منجي التونسي' في مشهد فراق دلالة حيث وضع ساعة يده في يد أحد رفاقه متذمرا من حظه المتعثر وليس ساعة الخط.

الشعور بالاغتراب في هذه الرواية متعدد الأوجه رائحة الخيانة والفساد تزكم الانوف والأمل حيث يسيطر فساد الحاضر وذبول الماضي ليفرض غموض المستقبل تشهد على ذلك شجرة زيتون ضخمة غير مثمرة 'الحوشية' تتصدر مدخل حي العليق فهي تكتنز الكثير من الأسرار عن الفرص الضائعة والأحلام المحطمة والحقوق المهدرة المجروحة والإلام

المتجذرة وعلى غرارها تحيط رائحة القاذورات والمخلفات بالمهاجرين السريين في وسائل نقل وتهريب الشباب بين المدن الأوروبية ورائحة الموت ولون الدم والعنف والقتل والاتجار بالبشر والأعضاء البشرية تسيطر على عموم أنشطة التنظيم السري الغامض.

الفساد يصل في 'الليمونة' إلى اعلى المستويات يمثله 'فاروق' وأمثاله الذين يدعمون نموذج 'منور' الفاسد ويؤسسون لأوضاع تنتهك فيها القيم بالمسميات، فيختبئ الزعيم "نافع" خلف قناع المصلحة الوطنية وتبرر "لورا' خداعها لحميد بالظروف ويستبيح "ادوارد" قطعة من جسده (كليته) باسم حمايته، في إشارة عميقة إلى الثمن الذي باتت تدفعه الشعوب المغلوبة على أمرها لقاء امنها، ويعرض 'زاك' تحالفا مع حميد باسم التاريخ والعشرة ويكون ضده في إشارة إلى وهم المصير المشترك.

لكن رائح 'الوطن والانتماء قوي 'وطاغي' فهو الملاذ والدرع والمبتغى وفي ذلك يحتدم الصراع على جميع المستويات ويحاول 'حميد وموسى وسعيد وسامي ومنعم وخولة ومعتز وعاصم' النفاذ بمخزونهم من المبادئ وحب الوطن إلى حياتهم المرغوبة بأخف الخسائر فتظهر صعوبة المعادلة. وتبدا رؤوس الائتمان تطل من الأجندات المتوارية في الضفتين الشمالية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط

وما يشد الاهتمام في هذه الرواية من بدايتها إلى نهايتها هي أنها مبنية على مجموعة من الالغاز والرموز. يتعين على القارئ أن يواكب تسلسل الأحداث ليصل إلى الحلقة المفقودة ويفك الشفرات التي تعرض عليه تدريجيا فهي تخاطب عقله وقلبه في الوقت ذاته وقد قامت الروائية من خلالها بتفكيك ظواهر وخبايا واقعنا وإعادة تصنيفه باختلاف رموز ومستويات من السلطة لتنظيم سري غامض يتخذ التفاحة المنهوشة شعارا له نلاحظ (تناص مع تفاحة الخطيئة الأولى)، هذا العالم يدير الأمور من خلال أدوات بسيطة وقد جعلت لأعضائه مستويات من نسيج فكرها وخيالها بتشويق وإثارة تناسب غموض هذا العالم السري، الانبيدي والموزع والكولوم...

نجد في ذلك الرمز الكاشف "لعوار' وفساد الليمونة نموذجا لأي مدينة عربية ابتداء بانتقاء أسماء رمزية دالة لشخصيات الرواية 'حميد حماد' رمز الرضا والحمد والقبول أما الإسقاطات الرمزية الدالة على فساد الداخل فمعها برزت مسميات خاصة حسب. حزب نظافتنا وعلى راسه 'زهير رسلان' فاسد قديم ومتورط في سلسلة قضايا ومخالفات وحسب القفزة في دلالة على قفز الفاسدين على حساب عموم الشعب المطحون وعلى راسه 'إبراهيم الفار' المثقف الفقير الذي كان ينادي بإزالة الفوارق بين الطبقات وفجأة انقلب وتحول للرأسمالية بعد أن صار من أثرياء الليمونة.

على مستوى الأماكن حي النعيم العليق الحرير وينسون كوكي رمز العدالة المفقود والتمييز الفج بين شمال العالم وجنوبه في صورة غرق وأجنحة وصفت الرواية مستويات وأبعاد الإقامة فيها ببراعة وتوهت بان أسعارها تتفاوت حسب النزلاء كما يظهر عمق وجع الإنسان في ظل تجاذبات المصالح بين الشمال والجنوب في مشهد يقف فيه 'ناصر' أحد المستغلين لحميد قهرا أمام أحد اغلى محلات الساعات في أوروبا ويعرض عليه أن يهديه أحداها فيدير حميد ظهره للواجهة المرصعة بالمعروضات المغرية.

تبرع الروائية في وصف حالة فائزة التي تواطئ عليها زوجها مع إدوارد وجعلها تخسر ملامحها الطبيعية بمجرد ان يحتفظ بابنها وفي ذلك إشارة قوية إلى التواطئ على الهوية واغتصاب ملامح الشعوب. على يد الأقربين قبل الأغراب. سلطت الرواية الضوء على بعض الطابوهات مثل الدعارة والمثلية والشذوذ وانتهاك جسد المرأة دون أن تصدم القارئ أو تفقد السرد جاذبيته وإثارته وتلك معادلة صعبة حققتها ' فضيلة ملهاق' بنضج ووعي نادرين. وبشكل يخدم سياق الرواية

تتواصل رحلة الهجرة السرية وتتهدم بيوت وتسرق أحلام ويفجع حميد بمقتل شقيقه سامي على يد التنظيم الغامض الذي يزعجه بروز عقل نابغ في عالمنا الثالث ويرجع

لأحضان الليمونة التي شهدت ما يشبه الصحوة عبر ثورة تطهير وملاحقة لرموز الفساد وتبدأ أصعب لحظات مواجهة الذات.

لا تخلو الرواية من خط درامي ينتصر للرومانسية والعلاقات الإنسانية الراقية. بما فيها العلاقات الأسرية والاجتماعية وفي ذلك تقفز صداقة موسى وحميد فوق الظروف والزمن وتتعزز بصداقات أخرى تمتد إلى اختيار حياه مشتركة وبدايات جديدة في انحياز واضح للتقدم الأمن والتعايش السلمي ونضج الهدف. من الحياة تنسج الرواية في سياقها مشاهدا للعواطف والحب البريء جمعت 'حميد بسعيدة' و'معتز بخولة' و'موسى بمهدية' التي ظل يحارب من أجلها سنوات.

اللافت أيضا أن الروائية "فضيلة ملهاق" قدمت حكايات النساء المقهورات التي تدهس الظروف والذهنية الرجعية ابسط حقوقهن. بعيدا عن شعارات المساواة الشكلية المضللة فهي تستعرض جراح كل من المرأة والرجل باعتبارها جراح الإنسان وترى المساواة المثلى في احتفاظ كل واحد منهما بميزاته ومكانته وقد برعت في كل مواضع الرواية وفصولها الـ 36 في صك مقولات مفعمة بالقيم والمبادئ الإنسانية منحوتة كدستور وميثاق مقاومة مواده الحق والعدل والحب والخير والجمال.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة.....أ-ج

الفصل الأول

النقد الثقافي والأنساق الثقافية مفاهيم نظرية

أولا- النقد الثقافي..... 05

1- تعريف النقد..... 05

2- تعريف الثقافة..... 06

3- النقد الثقافي..... 11

ثانيا- الأنساق الثقافية 13

1- تعريف النسق 13

2- خصائص النسق..... 21

3- النسق من منظور الدراسات النقدية الغربية والعربية الحديثة..... 22

3-1 النسق من منظور الدراسات النقدية الغربية 24

3-2 النسق من منظور الدراسات النقدية العربية الحديثة..... 26

4- علاقة النسق الثقافي بالرواية 27

خلاصة 29

الفصل الثاني:

تمظهرات الأنساق الثقافية في رواية "حينما تشتهيك الحياة"

تمهيد: 31

أولا- الأبعاد الثقافية للعنوان: 32

ثانيا: النسق الاجتماعي في الرواية 33

1- نسق الفحولة..... 33

2- نسق الهوية والتشتت **36**

3- نسق التمرد **38**

3-1 التمرد على المجتمع **40**

3-2 التمرد على الدين **41**

4- نسق الاغتراب **42**

4-1 الاغتراب النفسي **42**

4-2 الاغتراب المكاني **43**

ثالثا- النسق السياسي **44**

1- نسق السلطة: **45**

2- نسق المعارضة: **46**

3- نسق الوطن **49**

رابعا- النسق الأخلاقي **49**

الخلاصة **51**

- الخاتمة **53**

- قائمة المصادر والمراجع **56**

- الملاحق **64**

- فهرس المحتويات

- الملخص

الملخص:

يعنى هذا البحث بمقاربة رواية "حينما تشتهيك الحياة" لفضيلة ملهاق من منظور النقد الثقافي، بهدف استجلاء الأنساق الثقافية المهيمنة في النص. منطلقا من إشكالية رئيسة مفادها: كيف تمظهرت الأنساق الثقافية في الرواية؟ إلى جانب أسئلة فرعية أخرى اعتمدنا في الإجابة عنها على آليات النقد الثقافي والمنهج السيميائي في تحليل العتبة الأولى للرواية.

توزع البحث على فصلين بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة، خص الفصل الأول الإطار النظري المفاهيمي المتعلق بالنقد الثقافي والنسق الثقافي وخصائصه علاقته بالرواية. أما الفصل الثاني فقد جاء تطبيقيا تطرقنا فيه إلى الأبعاد الثقافية للعنوان ثم الأنساق الاجتماعية والسياسية وتمظهراتهما داخل الرواية من خلال التركيز على نسق: الفحولة، الهوية، التمرد، السلطة والمعارضة وغيرها من الأنساق.

لنخلص في الأخير إلى جملة من النتائج أبرزها أن الرواية ليست مجرد سرد جمالي، بل نص ثقافي يكشف صراعات الهوية والذات ويعيد مساءلة الواقع من منظور نقدي ثقافي متعدد الأوجه.

الكلمات المفاتيح: النقد الثقافي؛ النسق الثقافي؛ الرواية؛ الهوية؛ التمرد.

Abstract:

This research examines Fadhila Melhaq's novel "When Life Desires You" from a cultural critical perspective, aiming to uncover the dominant cultural patterns in the text. It begins with a primary question: How are cultural patterns manifested in the novel? In addition to other sub-questions, we rely on the mechanisms of cultural criticism and the semiotic approach in analyzing the novel's first threshold.

The research is divided into two chapters, in addition to an introduction and a conclusion. The first chapter focuses on the theoretical-conceptual framework related to cultural criticism, the cultural system, its characteristics, and its relationship to the novel. The second chapter is applied, addressing the cultural dimensions of the title and the social and political patterns and their manifestations within the novel, focusing on the patterns of masculinity, identity, rebellion, authority and opposition, and other patterns.

We conclude with a set of findings, the most prominent of which is that the novel is not merely an aesthetic narrative, but rather a cultural text that reveals conflicts of identity and self and re-examines reality from a multifaceted cultural critical perspective.

***Keywords**: Cultural Criticism; Cultural system; novel; identity; rebellion.*